

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بالصورة

محاضرات
في
شعر العرب والفروسيّة في عصر بني أميّة

الكتاب
للمفكر محمد السبّاح
مدرس الآداب والتقدّم الأدبي بالكلية

١٤٠٥ هـ - ٢١٩٨٤

1. The first part of the document is a list of names and their corresponding addresses.

1. The first part of the document is a list of names and their corresponding addresses.

1. The first part of the document is a list of names and their corresponding addresses.

1. The first part of the document is a list of names and their corresponding addresses.

1. The first part of the document is a list of names and their corresponding addresses.

" بسم الله الرحمن الرحيم "

(المقدمة)

" الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله "

معد :

فليس ينكر أحد أن شعر الحرب والغرسية من أولى الموضوعات الشعرية التي تتصل بالعصر الأموي اتصالاً مباشراً فهو نتاج طبيعي للعصر وصراعاته وقد عني بتسجيل الصراعات الحزبية ، ونقل لنا صورة لما كان في العصر من أمجاد وطلولات قد لانجد لها أثراً في كتب التاريخ والسير .

وكان نهجى في دراسة هذا الشعر يقوم على الاهتمام باللون الحزبي ذلك لأن العصر الأموي كان عصر أحزاب سياسية حقيقية ، لكل منها مذهب وآراءه ونظرياته في الحكم ، ولكل منها وسائله في الدعاية لأفكاره وتحقيقها والتطويعها من نطاق الرأي والفكر إلى ميدان القتال والحرب .

ثم إن الحديث على هذا اللون من الشعر يدفع بالإنسان لأن يستمعين بالأحداث السياسية ، ليأخذ منها ما يعينه على التوضيح ، تسديداً لبحثه ودراسته ، لأن شعراء هذا الشعر في العصر الأموي لكل منهم نزعة الخاصة لحزب أو فريق ، ولكل منهم كذلك دعوة في شعره لهذا الحزب أو ذاك مدحاً وهجاءً ...

وبالتوفيق إلا بالله

د . طلعت صبح السيد

المنصورة في ربيع الأول ١٤٠٥ هـ

(الباب الأول)

XXXXXXXXXXXX

* العصر الأموي بين الحرب والسياسة *

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الفصل الأول : الأحزاب السياسية في العصر الأموي :

ما أن انقضى عهد عشرين الخطاب حتى علت على الساحة الإسلامية أسباب جعلت الهوية تتسحق بين المسلمين ، وصفت فوقتهم بالوحدة التي نعموا بها في العهد الأول للإسلام ونشأت من ثم الأحزاب السياسية ، وأخذت تستكمل أسباب قوتها ومعالم شخصيتها .

ولاشك أن تاريخ الدولة الأموية يمثل صورة حقيقية لهذا الصراع الحزبي فقد اختلفت في هذه الدولة الأهواء والأغراض ، وأصبحت ميداناً تتصارع فيه الأحزاب ، وكانوا يحاولون هدم في بناء الدولة منذ فجر حياتها وحتى أفول شمسها .

فالخوارج يكفرون الدولة الأموية ، والشيعة يخرجون عليها تحت شعار الدعوة لآل البيت ، ويقبضون من أجل ذلك بالحروب والثورات التي هزت أركان الدولة وأضعفت كيانتها ، وكانت من أهم العوامل في القضاء عليها . والزيهريون يقفون من الدولة موقف العداء الساغر وسيطرون على معظم ولاياتها فترة من الزمان .

(١) الحزب الأموي

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

بعد مقتل عثمان بن عفان يبيع علي بن أبي طالب بالخلافة ، ولم تكن

الخلافة آنذاك مركزاً يحسد عليه صاحبه لما كان يحيط به من أهوال ومتاعب
وهذا هو السبب في رفض رجال الشورى لها ، حتى لا يكون هناك مجال لسوء
الظن بهم .

ولم يكد على يتولى الخلافة حتى واجهته العقبات وأحاطت به المتاعب
فقد طلب إليه جماعة من أولى الأمر - وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان - أن
يحاكم هؤلاء الثوار الذين قاموا بقتل الخليفة عثمان بن عفان (١) .

وتنادى معاوية في دعواه ، فأخذ يثير الناس ، ورفض أن يبايع علياً
وتسكن أن يحرك المشاعر ويثير الخواطر ، وكان قد حشد لذلك كل ماله من
أساليب الدهاء ، وألقى في أذهان الناس أنه إنما يطالب بثأر عثمان من قاتليه
وأن علياً قد اشترك في هذا الجرم وأوغل فيه .

في هذا الجو بدأ على يوجه معظم اهتمامه إلى معاوية فهو العدو والألد
الذي لا يزال يحكم بلاد الشام ويتجاهل أمر الخليفة بعزله ، ولا يقرأ وأمر
الخليفة ولا يعترف بها ، وبدأ الصراع في موقعة الجمل (٣٦ هـ - ٦٥٦ م)
وقتل فيها طلحة والزبير وتم النصر لعلي .

وسرطان ما تجدد الصراع بين علي ومعاوية في موقعة صفين (٣٧ هـ -
٦٥٧ م) ، وكاد النصر يتحقق لعلي لولا الحيلة التي لجأ إليها عمرو بن العاص
قائد جند معاوية فقد رفع جند المصاحف ، وكان التحكيم وخلع على وتبني
معاوية (٢) .

(١) أنظر اندولة الأموية في الشرق ، الطيب النجار : ١٣ وما بعدها ، ط ٣ .

(٢) راجع تاريخ الطبري ج ٥ والكامل لابن الأثير ج ٣ .

- 1 -

وهكذا قامت الدولة الأموية (٤١ هـ - ١٣٢ م) * صوب معاوية في الكوفة سنة ٤١ هـ على مشهد من الحسن والحسين (٢) . لكنه لم يلبث إلا قليلا حتى ابتدع نظاما جديدا في الخلافة * فأخرجها من دائرة الشورى والانتخاب إلى التيسير والوراثة وذلك بإعلانه البيعة لابنه يزيد * وشرع يوطد الملك * .
ويعهد إليه بولاية العهد في حياته .

طابع سیاستہم :
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

اتخذ معاوية من مدينة دمشق مركزا للخلافة الأموية وحاط نفسه بأبهة
الملك وجلالهم * وعلى الرغم من إبقائه على النظام الإداري القديم إلا أنه أول
من اصطنع الموالي والتصارى في المناصب (٣) *

وأخذ بنو أمية ودعاتهم يحملون الناس على الطاعة لهم وعلى نصرتهــم
ومقاتلة من يتمرّد على سلطانهم .. وكانت حجّتهم في ذلك أنّهم خلفاء الله
ورسول الله .

- (١) تاريخ اليعاقبة : ٥٤/٢ . والبداية والنهاية لابن كثير ١٦/٨ .
- (٢) مرجع الذهب : ٣٦/٢ . المطبعة البهية المصرية ١٣٤٦ هـ .
- (٣) انظر تاريخ الدولة العبرية د . مجد العزیز سالم : ٣٤٦ . مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر .

وقد جهر بهذا زياد وإلى معاوية في خطبته البتراء بالبصرة فقال : (١)
" أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم سادة ، وعكم ذاداة ، نسوسكم بسلطان الله
الذي أعطانا ، ونذود عكم بفن الله الذي حولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما
أحيينا " .

وكان على الدولة الأموية - لتوطيد دعائم ملكها - أن تستميل الناس
إليها ، فتسلح بنوها بالسيف واللسان والقلم والعطاء ، وتسلحوا فيما تسلحوا
به بسياسة التفريق والتزيق وبعثوا العصبة القبلية والعصبة الجنسية أو العشوية (٢)

ولعل أظهر ما يمثل دها معاوية وسعة عقله أنه عرف كيف يتخذ من
العصبة حصنا منيعا يحصن به ملكه وملك أولاده من بعده ، فهل كان الصراع
بين الزبيرية (أتباع عبد الله بن الزبير) والأموية إلا صراع البضيرة واليمانية (٣) .

وجد ير بالذكر أن هذه العصبة كانت نذيرا بخطر لم يلبث أن استفسر
في الدولة الأموية ، فهدم أركانها ، وعجل بسقوطها ، فالأمويون - وإن
استتصروا بالعصبة على خصومهم - لم يلبثوا إلا قليلا حتى استتصروا بها بمضهم
على بعض .. وطبعي لا يسلم بنو أمية بمسلكتهم هذا من إثارة وإغصاب ، هذا
إلى ما تجره تلك العصبة من شرور ومخاطر . وقد تحقق ذلك ، فسرطان ماصرات
العصبة مؤضا في المجتمع ، ونجست عنها فتن وثورات آذنت بنهاية الدولة
وظهور الدعوة لبني العباس .

(١) البيان والتبيين : ٦٤/٢ . نشر مكتبة الخانجي .

(٢) أنظر مروج الذهب : ٢١/٢ .

(٣) المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول د . غنيز فهمي
٤٤ . دار المعارف .

وقد أنذر نصريين سيار والى خراسان هشام بن عبد الملك بقوله (١) :

أرى خلل الرهاد وميض نـار ••• ••• ويوشك أن يكون لها غـرام
 فإن النار بالمتودين تذكى ••• ••• وإن الحرب أولها الكـلام
 فإن لم تطفئوها تجن حـربا ••• ••• مقمرة يغيب لها الفـلام
 أقول من التمتع ليت شعري ••• ••• ألقاظ أمية أم نـيام
 فإن يك قومنا أضحوا نياما ••• ••• فقل قوموا فقد حان القـيام
 فيسرى عن رجالك ثم قولسى ••• ••• على الإسلام والعرب السـلام

وقد أتيح لبني العباس أن ييثوا دعائهم في هذا المجتمع المسحق
 الساحط ، فأخذوا يصهبون بني أمية ، واستغلوا حق بعض القبائل المتزايد
 على بني أمية ، وفي وسط هذا المجتمع الذي تصطرع فيه أمواج الفسـتن
 ومعج بالخلاف والانقسام ، لم تكن إلا جولة أو جولات حتى تهدم صرح بني أمية
 وقام صرح بني العباس .

(٢) حزب الخوارج

عرفت الخوارج بألقاب عديدة (٢) ، وأشهر هذه الألقاب هي " الحروية " و " المحكمة " و " المارقة " و " الفـراة " .

وأشهر اسم عرف به هؤلاء الناس هو الخوارج ، وقد صار علما مميـزا لهم
 من غيرهم من الفرق الإسلامية ، ولعل شهرته على الأسماء الأخرى جاء تـمن
 اتفاق الجميع على استعماله وإعـاضته ، ثم إن الخوارج أنفسهم تسكوا بهـذا

(١) مروج الذهب : ٢٥/٢ . والمقد الفريد : ٢٤٠/٥ .

(٢) الخوارج في العصر الأموي د . نايف معروف : ١٨٧ وما بعدها .

إني لأذكره يوماً فأحسُّهُ . . . أوفى البرية عند الله ميزاناً

ولعل خير ما يصور عقيدتهم ما قاله واحد منهم وهو أبو حمزة الخارجي " في وصف أصحابه . يقول : " شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غيبة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنفاس عبادة وأطلاح سهر ، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شفق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنية . موصول كلالهم بكلالهم : كلال الليل بكلال النهار قد أكلت الأرض ركبهم وأيد بهم ، وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت ، والرياح قد أشرعت ، والسيوف قد انتصبت ، ورعدت الكتية بصواعق الموت ووقت ، استخفوا بوعيد الكتية لوعيد الله ، ومضى الشاب منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخصبت بالديار محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء فكم من عيش في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله . (١) .

فريق الخوارج :

ظلت الخوارج على رأى واحد من لدن فاروقا علياً إلى أن كان من أمرهم ما كان مع ابن الزبير وتفرقهم عنه . . . فبعد أن كانوا كتلة واحدة يجتمعون على رأى واحد ، شجر الخلاف بينهم ، وأصبحوا فرقاً يتبرأ بعضها من البعض الآخر (٢)

(١) البيان والتبيين : ٢ / ١٢٥ .

(٢) انظر الكامل للمبرد : ٣ / ٨٩١ .

ومن هذه الفرق الأزارقة والصغرية والنجدية والإباضية والبيهسية .
هذا ولم يقف انقسام الخوارج عند هذا الحد ، بل جاوز انقسامهم
الحدود الاجتهادية المألوفة . . وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على أن
قضية الاجتهاد عندهم لم تكن قد توضحت معالمها أو حددت شروط ممارستها

علاقة الخوارج ببنو أمية :

أما ما كان من الخوارج في تحركاتهم ضد الدولة الأموية ، وما كان
من الأمويين في مقاومتهم ، فلا شك أن الخوارج لم يكونوا راضين عن المعاهدة
التي أبرمت بين الحسن ومعاوية ، وتمنوا القضاء على هذه الدولة ، إلا أن
الاستقرار الذي نعمة الدولة الأموية بعد تنازل الحسن عن الخلافة يعد
العامل الأول في الحد من خطورة الخوارج وتقليص نفوذهم ، كذلك لانغفل
ما كان لولاة العراق من دور حيال الخوارج ، فقد استطاعوا أن يحولوا دون
تصاعد أمرهم طوال عهد معاوية (١) .

ومن ينظر في تاريخ الخوارج يجد أنهم لم يكفوا لحظة واحدة عن
محاولاتهم إسقاط حكم بني أمية ، إلا أنهم كانوا يحاربون خصومهم في جيوش
مختلفة ، ولو أتيح لهذه الفرق أن تعمل تحت إمرة واحدة ، ووفق خطة
متكاملة لتجنبت الكثير من الهزائم التي منيت بها ، ولاستطاعت بالتالي تحقيق
الكثير من التطلعات السياسية التي كانت تتطلع إليها .

(١) يلاحظ البداية والنهاية : ١٤/٨ . القاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٣) حزب الشيعة

لم تظهر الشيعة بالمعنى الحزبي إلا في عهد عثمان بن عفان حينما قام عبد الله بن سبأ اليمنى اليهودي الأصل بإظهار التعصب لآل البيت ووضع أسس مذهب التشيع . والانتقال في البلاد الإسلامية يحوز على عثمان ومعاوية ويظهر مساوي بني أمية .

ولما قتل عثمان بن عفان . عوس الثوار الخلافة على علق بن أبي طالب فأبى . ثم استعانوا عليه بالأنصار والمهاجرين قتل . وأصبح خليفة المسلمين ببيعة اشترك فيها من كانوا بالمدينة من أهل الكوفة والبصرة وبصر ومن كانوا بها من المهاجرين والأنصار .

وقد رفض بيعة على كثير من أنصار عثمان وفي مقدمتهم السيدة عائشة رضي الله عنها . ثم انضم إليها طلحة والزبير . وبالبثوا إلا قليلا حتى تجمعوا وقصدوا قتال على وصحبه في البصرة (١) .

وقد التقى الفريقان في موقعة الجمل وقتل طلحة والزبير . وبعد المعركة ارتحل على إلى الكوفة فبايعته . وبدأت الرسل تسفريته وبين معاوية فلم يقدر لها نجاح . ثم كانت موقعة صفين والتحكيم (٢) .

وقد انتقل الإمام على إلى العراق . واختار الكوفة مركزا له ونبوعا لدعوته وعاصمة لخلافته . وصارت العراق والكوفة بخاصة موئل الشيعة وينبع التشيع . ويصدر الثورات على بني أمية .

(١) انظر الطبري : ١٦٨ / ٥ وما بعدها . المطبعة الحسينية بصر .

(٢) انظر الدولة الأموية د . الطيب أنجار : ١٩ وما بعدها .

وقد شق المحكمة (١) عصا الطاعة على علي ؑ ولم يبق إذن حولـه
إلا أهل الكوفة الذين أصبحوا كلهم حنـه في حرب معاوية وحنـه ؑ ثم كان
من تناقلهم عن نصرة علي حتى قتل وليس له شيعة في العراق كشـعة معاوية
في الشام .

بعد مقتل علي أصبح التشيع مقصورا على أتباعه مع تلاوت فيها بينهم
وقد ندم هؤلاء على تفریطهم في مقتل علي ؑ فأخذوا يغالون في حبـه
وتمظيمه وإكباره عزاء لما قدموا له من الإساءة في حياته ؑ وعلى هذا النحو
كان دعاؤهم لبني أمية ؑ فقد ظلوا طوال العصر يستجيون لكل من
يقودهم للثورة عليهم (٢) .

ولما قتل الإمام علي واجت الدعوة ذبـه الحسن وابـه أهل الكوفة
وأخذ يستعد لقتال معاوية ؑ لكن معاوية - وكان أحد ميلا إلى الحرب -
قد عار إليه ؑ فوجد الحسن أنه لا طاقة له بنزال معاوية وخاصة بعد
خذلان قومه له فتصالح معه على أن يتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية
على أن يكون الأمر شوري بعد معاوية ؑ وغاد الحسن الكوفة إلى المدينة
وطش بها حتى مات سنة ٤٨ هـ ٦٦٨ م (٣) .

وأخذ الأمويون يطيحون بأهل الشيعة حتى هـمف أمرهم وظلوا أيام
معاوية يقصرون تشيعهم على النظر والمقيدة لا على الحروب والثورات ؑ إلى
أن قتل الحسين بن علي وعض أصحابه ؑ فأخذ الشيعة يتحصنون لنصرة
مذهبهم ؑ وأعلنوا التمرد في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ هـ في حركة

(١) انظر فجر الإسلام ؑ أحمد أمين : ٢٦٦ وما بعدها . النهضة المصرية
ط ١٢ ١٩٧٨ .

(٢) انظر الدولة الأموية في الشرق د . الطيب التـارص ٧٧ وما بعدها .

(٣) الكامل لابن الأثير : ١٧٥/٣ . البداية والنهاية ١٤/٨ .

سببت حركة التوابين * فلما كان عهد هشام بن عبد الملك خرج زيد بن علي
زين العابدين بن الحسين .. إلا أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل
وبقيت الشيعة مذهب عقائدي إلى أن قامت دولة بني العباس (١) *

* * * * *

وتقوم عقائدهم في أصولها على فكرة الإمامة والإمام * وهم يجمعون
بفريقهم المختلفة على مشايعة على وإمامته * ويرى جمهور الشيعة نفس الرأي
في أولاد علي * وقد وجدت هذه العقيدة رواجاً شديداً وديوطاً واسعاً
بين كل من تشيع للإمام علي (٢) *

ولا يتسع المقام لإحصاء المذاهب والفرق الشيعية وتنوعها * وبيان
معتقدات كل منها وبيانها من خلاف * فكل ما يعنينا هو إبراز الشيعة
كحزب وبيان شأنها السياسي * وما كان لها من نضال مع الفرق الأخرى
امتد أثره إلى الشعر السياسي *

وقد قرن أدب الشيعة بحب آل البيت * وظلوا لهذا الحب بأنه تابع
لحب الله تعالى * ولذلك بكوا على أئمتهم بكاءً حاراً * وحملوا على خصومهم
واتهموهم بالجور والاعتصاف والحيدة عن الدين *

وقد مزجوا السياسة بالدين * ففصروهم يجمع بين الحرب وفكرة السياسة
التي دعتهم إلى الحرب * حتى خرجت أشعارهم صدى لحروبهم —

(١) انظر أعيان الشيعة * السيد محسن الماملي ج ١ ص ١٦ - ١٩ مطبعة
ابن زيدون دمشق ١٣٥٤ هـ *

(٢) انظر توضيح ذلك : الفرق الإسلامية د * نعمان القاضي : ١٤٢ وما
بعد هذا *

الأمويين ، واقراً أشعار الكميّتين زيد الأسدى فستجدّها تصوّر
لك حروب الشيعة ومطولة أبطالها وشجاعتهم ، ثم تجد الدموع
المسكوبة حزناً على مقتل أئمتهم في ظلم وعدوان .

(٤) الزبيريون

~~~~~

ينسب هذا الحزب إلى زعيمه عبدالله بن الزبير بن العوام  
الصحابي ابن الصحابي . وقد كان ابن الزبير رجلاً طموحاً  
يحب المجد والسلطان ، وكانت الخلافة أملاً من أماله ولكنه لم يفكر  
فيها تفكيراً فعلياً إلا بعد أن أعلن معاوية البيعة ديمه يزيّد  
فأخذ يدعو لنفسه بمكة سنة ( ٦١ هـ - ٦٨٠ م ) وبايعه الناس  
فيها بالخلافة .

وبنذ ذلك الوقت ولد حزب جديد من أحزاب المعارضة  
التي قامت في وجه الأمويين وهو حزب الزبيريين .. وكان هذا  
الحزب شديد الخطورة على الدولة الأموية ، ولو أن زعيمه قد أحسن  
استغلال الفوضى التي أتاحت له لاقتلع هذه الدولة من أساسها  
ولكنه كانت تواتيه الفوضى فيضيعها الأمر الذي أدى إلى أقول نجسه  
بعد زمن غير طويل (١) .

وقد اعتمد الحزب الزبيرى في الدعوة إلى عبدالله بن الزبير  
على أمور منها أن الخلافة حق لقريش وحدها كما أعلن ذلك أبو بكر

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير : ٤ / ٣٤٨ وما بعد ها .



يوم السقيفة • وبعد الله أكفأ من يتولاها بعد أن مات معاوية • بل إنه كان يرى نفسه أكفأ من معاوية • يضاف إلى ذلك أن عبد الله يمت بصلة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — • وإلى ذلك فهو ابن أسامة بنت أبي بكر • وكان في المدافعين عن عثمان بن عفان وقت الحصار •• وهو رجل اشتهر بالتقوى والصلاح • على حين اشتهر منافسوه من بني أمية بالخلاعة والمجون مما أسخط جمهور المسلمين عليهم (١) •

وقد جهر عبد الله لنفسه بالدعوة بعد مقتل الحسين • فأخذ أهل المدينة يثيرون على الأميين • وطردوا مروان بن الحكم وسائر بني أمية سنة ٦٣ هـ • فأرسل يزيد جيشا بقيادة مسلم بن عقبة إلى المدينة • وكان قتال شديد انتصر فيه مسلم • وقتل عددا كبيرا من خصومه • وأجبر الناس على البيعة ليزيد (٢) على أنهم تخول له أن يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلبيهم من شاء • فمن امتنع من ذلك قتل —

ولم يلبث ابن الزبير أن انضمت أغلب الأمصار الإسلامية إليه • فقد استجاب أهل البصرة له • وأخذوا يطالبون منه أن يرسل إليهم أميرا من قبله يأخذ البيعة له • وكذلك كان الحال في الحجاز

(١) يتصرف من أدب السياسة في العصر الأموي د • الحوقلى • ١١٥ • ١١٦ •

(٢) الكامل لابن الأثير : ١١٨/٤ •

واليمن ومصر والشام .. وهذه كلها بوادر تدل على أن النصر يوشك أن يحالف ابن الزبير . وزاد من تلك الخطورة أن بنى أمية بالشام كانوا منقسمين على أنفسهم . ولم يتفقوا على رأى حاسم فى أمر الخليفة الجديد بعد معاوية بن زيد . إلا أن ابن الزبير لم يعرف كيف يستغل هذه الفرصة الطيبة . ولو عرف لاضطر الأمويون إلى الإذعان والتسليم وغدا ابن الزبير بذلك خليفة المسلمين غير منازع .

ولم يطل الخلاف والشقاق الذى نشب فى حزب بنى أمية فسرطان ما أفاقوا لأنفسهم واجتمعت كلمتهم وولوا مروان بن الحكم الخلافة وأصبحت الشام مسرحا لحزبين كبيرين حزب الأمويين وحزب الزبيريين وقد اقتتل الفريقان قتالا شديدا فى معركة مرج راهط وهزم فيها أنصار ابن الزبير سنة ٦٤ هـ . مما آلم النفوس وترك فيها جرحا لا يندمل أشده . وفى ذلك يقول زفر بن الحارث من أنصار الزبيريين (١) :

أرىنى سلاحى لأبالك إننى  
أرى الحرب لاتزداد إلا تاديبا  
ففى العيس منجاة وفى الأرض مهرب  
إذا نحن رقعنا لهن الثانية  
فلا تحسبونى إن تغيبت ظاهرا  
ولا تفرحوا إن جئتم بلفائما

---

(١) الطبرى : ٤١/٦ . والكامل لابن الاثير : ١٥٢/٤ .

قَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعى عَلَى يَمَنِ الشَّرى  
وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفوسِ كَمَا هِيَ  
لِعَمْرِى لَقَدْ أَبَقَتْ وَقِيعَةٌ رَاهِطٌ  
لِحَسَّانِ صَدْعًا بَيْنَنَا مَتْنَائِي

وظل ابن الزبير في صراع مع الأمويين إلى أن لاحت نهايته على إثر هزيمة جند في العراق ، إذ أسرع عبد الملك وأرسل قائده الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش إلى مكة للقضاء عليه ، فحاصرها وضرب الكعبة بالمنجنيقات فاحتوت ( ٧٣ هـ - ٦٩١ م ) ، واضطر أنصار ابن الزبير إلى التخلي عنه ، وظل يقام إلى أن قتل سنة ٧٣ هـ ، فاستراح كل من الأمويين والخوارج من هذا الحزب المناوئ.

وشعر الزبيريين سجل واضح لأحداثهم ، فهو يدعو إلى الثورة على بني أمية ، ويتمنى الخلاص منهم ، وكثيرا ما يندبرهم ويريش لهم سهام الوعد والوعيد والتخويف والتهديد ، ومن ينظر فيما تخلف عن موقعة مرج راهط من شعر لفرقي بني أمية والزبيريين يرى مدى تمسك كل منهم بعصبية وأصراره على الانتقام من خصومه ثم يرى تمسك الزبيريين بالطاعة لابن الزبير ، وابتهاجهم به .

XXXXXXXXXXXX

\* الفصل الثاني \* : تطور شعر الحرب والغروسة في العصر الأموي

( ١ ) شعر الحرب والغروسة قبل العصر الأموي

شعر الحرب والغروسة هو ذلك الشعر الذي يواكب الحروب والمعارك والثورات فيصور أحداثها وقوادها ، والآلات الحربية المستخدمة فيها ، ويصور ذلك كله تصويرا دقيقا يتمثل أتم تمثيل في المتخاضمين أو المتحاربين .

أو هو ذلك الشعر الذي يصف خروج الكتائب للقتال ، وامتطاء الخيول في المعارك ، وما يلي ذلك من أوصاف القوة والهيبة وعدم الخوف من الالتحام ، وما إلى ذلك من المعاني والأفكار التي تدور في نطاق الشجاعة والبأس .. وغير ذلك .

والشعر بهذا المفهوم قديم عند العرب ، فلقد عـرف الجاهليون القتال والنزال ، ولم تسد الروح الحربية في أي عصر كما سادت في العصر الجاهلي بلاد العرب ، وإن كانوا لم يحاربوا قوما بعيدين عنهم ، بل كانت جُل حروبهم غالبا بين قبائلهم فحسب وكل شعرهم طال أم قصر قد وصفت فيه المعارك ورويت فيه أخبار البطولة وأهوال الوقائع وملاحمات الجلال :

وإذا كان الحال أنه لم تخل أمة من حرب ، وهي إما أن تكون لها مع الجار أو مع من في الدار<sup>(١)</sup> ... فإن حياة الجاهليين قـسـى

(١) شعر الحرب في أدب العرب . زكي المحاسني : ٢٣ دار المعارف ط ٢ .

البادية أولى وأجد رباً أن تكون حياة فروسية وحرب ، فقد سمعت كل قبيلة إلى التميز والتفرد والتفوق في كل ما يخلد مناقبها ومفاخرها ثم إنهم كانوا ذوى مروءة وهمة ، صلخت شجاعتهم درجة جعلتهم يؤثرون الموت في ظل الكرامة والحرية ، ويبعثون أرواحهم رخيصة في ميدان القتال دفاعاً عن العرض أو ذوداً عن الحيوات .

ومن يتصفح قصائد شعراء الجاهلية يجد بين يديه شعراً يحوى المعارك ، ويصاحب الجنود في الذهاب للنزال ، ويرى الإقبال والإدبار ، واليهي بالنبل والطمع بالسيف ، ثم يرى ماتسفر عنه الممارك من غنمة للفائز وخسارة للمهزوم ، ومن أعداد العدة للتأثر ... وما لا يس ذلك كله من فخر وهجاء وراث ، وكأن القصيدة في هذا الشمول تعد ملحمة كبرى تماثل مالدى غير العرب — ملاحم (١) .

ومعروف أن بلاد العرب استحالَت في الجاهلية إلى ما يشبه ميداناً كبيراً تقتتل فيه القبائل وتتصارع ، وكانت الحرب في دارهم سجالات ، فلا ينتهون من معركة إلا دخلوا في غيرها ، بل إنهم لم يلبثوا أن ينتهوا من معركة حتى ينهض كل فريق لنجدة فريقه فتكون حرب جديدة ويم آخر مشهود (٢) . فمن حروب الأوس والخزرج إلى حرب داحس والغبراء إلى حرب البسوس إلى يوم ذي قار إلى يوم

(١) انظر الشعر وطوايعه الشعبية على مر العصور ، شوقي ضيف ص ١٩ ، دار المعارف ١٩٧٧ .

(٢) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ .

حليمة • وإلى غير ذلك من الحروب التي كثرت وأنعما وأساهم  
عندهم •

هذا إذا أضفنا أنهم لم يكونوا زاهدين في الشهرة والنظام  
وحب التسلط • فإن كثيرا من ساداتهم وغطايرهم شنوا الحرب من  
جرا • الإمارة • وكانوا كثيرهم من الأمم يتغلب فيهم القوى على الضعيف  
ولا يحس لديهم الدمار إلا بحد السيف • (١) •

كذلك نشبت الحرب بينهم من جرا • الحفاظ على الشرف والعرض  
والدفاع عن كرامة المرأة • فهم يوقدون نار الحرب بسبب معشوقة هال  
أهلها العار • وقد يكون طلب المال حاملا لهم على الحروب والغنا  
في سبيله • بل لعله يكون ستارا تنفذ من خلاله أحقاد الصدور • كما  
حدث في " حرب البسوس " والتي شبت بسبب ناقة للبسوس بنت منقذ  
وقد قيل في هذه الحرب شعر كثير •

هذا إذا أضفنا أن الجاهليين كانوا ذوي حمية شديدة وقلوب  
جريئة • وسهارة فائقة تجعلهم لا يكون على من قتل في معركة (٢) :  
ولاتراهم وإن جلت مصيبتهم • مع البكاة على من مات يكونا

أما شعر الحرب والغروسة فقد دار عندهم حول وصف الوقائع  
وما يدور فيها من أعمال البطولة والفداء • ولم يكن وصفهم للمعارك

(١) شعر الحرب في أدب العرب : ٣٤ •

(٢) الفتوة عند العرب • ص ٥٣ نهضة مصر ط ٤ •

في قصائد كاملة ، وإنما هي لقطات سريعة في أبيات شعرية ، فليس لديهم قصائد تصور لنا صورة واقعة من أولها إلى آخرها كما حدث ولوبقلة فيما تلا ذلك من فترات .

وقد وقفت المرأة تصف الممارك وتجيد تصوير الأبطال ، وكأنها أحست أنها تشارك الرجل في الحرب في أيام الجاهلية ، فلا بد وأن تشاركه في الشعور الحماسي تلقاء الحرب ونكباتها ، وما كنّ في ذلك أقل إجادة من الرجال ، وكفاهن فخرا أن كانت بينهن الفاعسة الخنساء<sup>(١)</sup> .

وقبل أن أنهى الحديث عن الشعر الجاهلي فإنني أستطيع القول بأن هذا الشعر يمكن أن نعتمد عليه في استخلاص ما دار بينهم من أحداث ، لأن الشعراء لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة ، ولم يمر حدث دون أن يتحدث عنه أكثر من شاعر فحل \*\* كل ذلك في ألفاظ قوية وجرس رنان وكلمات طنانسة .

وقد خاطب كثير من شعراء العرب نساءهم حين يقولون شعراء في الحرب والفروسة ، وهم في ذلك يقررون أن المرأة ضرورية لشعر الحرب عندهم ، فهي تستثيرهم للحرب والمآثر ، يقول غنتره مخاطبا محبوبته في معلقته<sup>(١)</sup> :

---

(١) ديوان غنتره : ١٥ — ٣١ . بسيروت .

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ  
إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِ  
يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي  
أَغْشَى الْوُغَى وَأَعْفَى عَدَّ الْمَغْنَمِ  
وَمَدَّ جِجَ كَرِهِ الْكُفَاةِ نِزَالِهِ  
لَا تُنْمَعَنَّ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ  
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ  
يَمْتَقِفُ صَيْدَ الْكُعُوبِ مَقْصَمِ  
فَشَكَّكَتْ بِالْوَجْهِ الْأَصَمِ ثِيَابِهِ  
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْصَمِ  
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّيحُ نَوَاحِلُ  
مَنْ وَجِضَ الْهِنْدُ تَحْطَرُّ مِنْ دَمِي  
فَوَدِدْتُ تَجْبِيلَ الْمَيُوفَ لِأَنَّهُمَا  
لَمَعَتْ كِبَارِقُ شَفَرِكَ الْمَتِيمِ

\* \* \* \* \*

أما في عصر صدر الإسلام فقد حدث انقلاب ديني من حياة  
العرب فأخرجهم من حياة الوثنية إلى حياة روحية سامية ، فامتثلت  
قلوبهم بالإيمان .. الأمر الذي أدى إلى حدوث تطور وتغيير في  
شعر الغروسية والحرب وبخاصة في معانيه ، إذ دخلتها بعض  
المعاني والبيادى الإسلامية .



وما أن نشبت المعارك بين المسلمين وبين قريش حتى أخذ شعراء كل حزب يتبارون في تسجيل ما يدور في هذه المعارك ، وقد التزم شعراء المسلمين بالقيم والمبادئ الجديدة ، أما من عيت قلوبهم من شعراء مكة فقد وقفوا يحسون قلوبهم ضد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ودعوته ، غير مباليين بما يقولونه من هجاء مقذع .

وزاد شعر الحرب والغزوية أنه لم يقتصر على وصف المعارك التي دارت بين جيش المسلمين وجيش الكفار فحسب ، بل أخذ يتخطى ذلك كله فواكب شعر الفتوحات الإسلامية ، وأخذ الشعراء ينظمون أناشيد حماسية مدوية ، يتغنون فيها بانتصاراتهم <sup>(١)</sup> .

ويسود هذا الشعر الإيجاز ، فهو شعر اللحظات السريعة والمواقف الخاطفة وجسموره لذلك مقطوعات قصيرة ، يجري فيها الشاعر على سجيته دون تدقيق في معنى أو تنقيح للفظ أو التماس وزن أو قافية إنه يعبر عن خاطر التحم بصدرة دون معاناة أو مكابدة ، ويرى به في سرعة كما يرى بسهمه أو يضرب بسيفه ، غير مفكر في تنقيح ولا في تصفية أو تهذيب ، ولذلك كانت تشيع فيه البساطة وعدم التكلف لما يعتز صاحبه من شواغل الجهاد التي تحول بينه وبين اطلالة الفكرة كما تحول بينه وبين المعاودة للفظ وتجويد وتجديره <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر تاريخ الأدب العربي د . شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ص ٦٢ . دار المعارف ط ٨ .  
(٢) المصدر نفسه : ٦٧ .

( ٢ ) شعر الحرب والغروسة والحياة الجديدة في العصر الأموي

لم يحس العرب في العصر الجاهلي بوحدة سياسية إلا لقبيلته  
فهى دولته ، لها نظامها وعرفها المتبع وتقاليدها المتوارثة  
والقبيلة تجد في وحدتها ما يكفل لها الحرية والقوة والسلامة .

ولما أشرفت بشائر الدولة الإسلامية ، بدأ الرسول - صلى  
الله عليه وسلم - يكون مجتمعا جديدا لا يخضع لعرف القبيلة  
بل يخضع لقانون واحد عام .. وهذا المجتمع الجديد ليس ثوبا  
جديدا أحدث في النظام الاجتماعي تغييرات أساسية ، ما لبثت الدولة  
الناشئة أن عت بسببها جزيرة العرب وما جاورها .

وما أن لحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق  
الأعلى حتى ظهرت بوادر المعصية الخادمة ، وأخذ المسلمون  
يتحدثون عن أمر الخلافة ، وكادت تحدث الفتنة بين المهاجرين  
والأنصار لولا أن قبض الله سبحانه وتعالى لهذا النزاع أبا بكر وعمر  
فقاما بإخماد الفتنة ، وحاولا الاحتجاج لقبيلتي بني النضير على الأنصار .

وقد وقف الشعر يرصد الأحداث ، فانتصب لكل حزب شاعر  
يتحدث بلسانه ، وأخذ كل شاعر يدلل على أحقية حزبه بالخلافة  
فشاعر قبيلتي بني النضير يستبشر بها ، ويندد بتطلع الأنصار إليها ، ويحتج  
بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " الأئمة من قبيلتي "

وأنه أوصى المهاجرين بالأنصار ، وأن العرب لا تدين إلا لقريش  
فضلا عن أنهم أول من آمن .. وشعرا الأنصار لم يرتضوا هذه  
الدعوى ، وأخذوا يحتجون بأنهم هم الذين آووا ونصروا .

وبما كان الأمر قد نجم عن هذا الخلاف أن ظهرت فسي  
قريش عصبية جعلتها تستعمل على غيرها ممن اعتنقوا الإسلام ولم يكن  
لهم في العرب نسب صريح ، الأمر الذي جعلها تخرج عن أصل  
من أخطر أصول الإسلام وهو المساواة والمعدل .

وانقضى عهد أبي بكر وعمر في سلام ووثام ، فكل منهما  
قد تنبه إلى ما يكفل للمسلمين وحدتهم ، ويذود عنهم من الخطر  
الخارجي الذي يتهدد هم من الفرس والروم .. لكن ما أن انقضى  
عهد الشيخين حتى زالت عوامل وجدت أسباب أحدثت ذلك التطور  
المنتظر .

قد اختير عثمان بن عفان للخلافة ، فظهر التدمير وسخط  
كثير من المسلمين على خلافته ، وأخذت الفتنة تشتعل حتى انتهت  
الأمر بمقتل الخليفة ، وكان هذا أخطر حادث سياسي في تاريخ  
الإسلام ، لأنه أوسع باب الفتنة ، وجعل الحفاظ على وحدة  
الجماعة الإسلامية أمرا بعيد الاحتمال .

ثم آلت الخلافة لعلي بن أبي طالب ، وظهرت في الحال  
جماعة موالية لعثمان ، أخذت تطالب بمعاوية قاتليه . وأشهر

هؤلاء هو معاوية بن أبي سفيان ابن عم عثمان وواليه على الشام  
وأخذ معاوية هو ومن أحجموا عن مبايعة علي يملقون الدخول فسي  
البيعة بتسليم علي لقتلة عثمان \*

وبدأ على مسماء في إعادة تقاليد الخلافة \* فهم بعزل  
ولاة عثمان \* ولم يصغ لنصيحة بعض الصحابة له بإبقائهم حتى  
تهدأ الحال وتستقر الأمور \*\* وأطاع العمال أمر العزل لإلزام معاوية  
قد مكثته إقامته الطويلة في بلاد الشام من تكوين حزب قوى يناصره  
ويحميه \*

وبدأ معاوية العمل \* وازداد سخطه \* وكان يليه فسي  
السخط الصحابي الجليلان طلحة والزبير \* فسرطان ما انقلباً على  
علي \* واتهماء بأنه الذي دبر مقتل عثمان \* وأنه المستفيد  
الوحيد منه \*

\* \* \* \* \*

واتسعت من ثم الهوة بين المسلمين \* ونشأت بينهم أحزاب  
سياسية حقيقية \* لكل منها مذهب وآراء \* وظهرت على الساحة  
ثلاثة أحزاب سياسية \* أخذت تعارض بني أمية \* وتخاصمهم  
وتدعو إلى الانقضاء عليهم \* وهي أحزاب الشيعة والخوارج  
والزبيريون <sup>(١)</sup> \* وامتلاء عصر هؤلاء جميعاً بكبريات الخطوب \* وند رأن  
(١) انظر: الخطابة في صد والإسلام \* محمد طاهر رويش الفصل الثاني \*

ضرب التاريخ مثلاً بشدة الحروب وانصباب الدم كالذى ضرب فسى  
عصر الدولة الأموية وما قبله .

\* \* \*

وهكذا تعقدت الأمور السياسية فى العصر ، وأصبح لزاماً  
على **العصر** أن يعدوا أنفسهم لمهمة كبرى ، ينهضون بأعماشها  
الجسام متشكلة فى أشعار الفروسية وصف الحرب ، فالعصر وما فيه  
من سياسة معقدة وحروب وفتن قد أوجب على الشاعر أن يخضع لسلطان  
الحرب والسياسة .

ولعلنا لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن قرائح الشعراء فى هذا  
العصر هى التى هيات لخدمة هذا الضرب من الشعر ، فالعصبية  
التي سادت العصر دفعت الشاعر إلى أن يخوض فى شعر الفروسية  
وينشد أبياتاً يفضل بها قبيلته وقومه على من يذهب غير مذهبهم من  
أعدائهم ومناوئهم . وقد نبغ فى هذا — بفضل القرائح الفذة —  
شعراء فحول استطاعوا أن يفوقوا غيرهم فى الفخر والحماة ودعائات  
السياسة وذكر الحروب .

وقد يكون من دافع التفوق أن الشعراء الأموي قد تأثر فى شعر  
الفروسية بالشعر الجاهلى وسار على غراره . وأى شعر فى الفروسية  
أشد قيداً وأبعد أثراً من الفروسية الجاهلية ، فقصاصهم فيها يعترز  
بها الأدب العربى لما فيها من دقة التصوير وسرعة الوصف ومتانسة  
الديباجة .

ولا يمكن القول بأن شعر الفروسية في العصر الأموي يخلو من المآرب السياسية ، فهذا حكم لا يخلو من غلو وتطرف عن الحقيقة وإن كان هذا الشعر في حد ذاته قد قيل لوجه الفروسية وحدها فلم يجرد الخصم مما عرفوا به من صفات الفروسية .

وقد تكون السياسة هي الدافع إلى نظم شعر الفروسية فهو — أي شعر الفروسية تنمة طبيعية لصراعات العصر وخصوماته وما اختارت الأحزاب السياسية الحرب ولا امتشقت السيوف إلا لازالة الحواجز الماثلة أمام مآربهم السياسية ، ثم إن من الشعراء — وخاصة شعراء الخوارج — من كانوا فوارس في الميدان ، وقد وظف شعراء الخوارج شعرهم لصالح دعوتهم حتى كادوا يقصرونه عليها .

وأحسب أن هؤلاء الشعراء ، وخاصة العمالقة منهم ( جرير والأخطل والفرزدق ) لو خلصوا إلى شعر الفروسية ، وإلى حروب العصر فوصفوا وقعاتها ، وأسكبوا خيالاتهم الرائعة في هذا الوصف ، ولم يكتفوا بأبيات يثنونها بين شعر المدح والفخر والهجاء لخلدوا فروسية الأبطال الذين أنبتهم عصر بني أمية ، لما روى عن خوارج بطولاتهم وروائع شجاعتهم واقدامهم في الحرب والجـود بأنفسهم فيها .

لكنهم وكانوا عصبة كبرى تألب بعضهم على بعض من جرأ المعصية التي ورثوها من الجاهليين لقرب العهد بينهم وبين أهلها

وأخذوا يتراشقون بهجا\* شغل رواة الأدب ومؤلفيه قد يما وحديثا \*

\* \* \*

فهذا هو الفرزدق شغله شعر الهجا\* عن شعر الحرب  
واقصر في وصفه للحرب بأبيات يشها في ثنايا قصائده الأخرى • فهو  
في هجائه ليزيد بن مسعود بن خالد يأتي بأبيات في الفروسية عند  
قومه تحس منها أنه لم يلم بوصف الممارك • ولم يبدل جهدا في تصوير  
وقائعها والتحام جيوشها • وكأنه لم يعرف شيئا عن فنون الحرب  
يقول: (١)

وكم من رئيس غادرته رماحنا  
يُجّ نجيمًا من دم الجوف أحمر  
ونحن صبحنا الحى يوم قراليس  
خبيمًا كأركان اليمامة يذسرا  
ونحن أجزنا يوم حزن قريش  
ونحن منعنا يوم عيتين منقرا  
ونحن حد رنا طيط عن جبالها  
ونحن حد رنا عن ذرى القور جعفر  
بأرعن جرار تغى له الصوى  
إذا ما اتعدى من منزل أو نهجرا

---

(١) الديوان : ١٩٥/١ •

له كوكب إذ ذرت الشمس واضح  
تري فيه منا دارعين وحسرا

وعلى كل حال فلم يشذ شعر الحرب والغروسة عن التطور  
الذي ساد العصر الأموي \* وامتلات دواوين شعراء العصر بمنظومات  
حماسية تصف الحروب والفتن \* وهي حساسة لا تحركها المصيبة  
القديمة فحسب \* بل كان يحركها في الأمم الأغلب ماساد العصر من  
صراعات حزبية ندر أن نجد في عصر آخر مثيلا لها \*

هذا إذا أضفنا أن شعراء الأحزاب المعادية للأمويين كانوا  
غلاة في مبادئهم \* وكان لكل شاعر منهم دعوة في شعره الحواري  
فهناك إلى جانب شعراء الحزب الحاكم شعراء الخوارج \* وهم قسم  
يرفضون الحياة تحت الخضوع لآراء غير آراءهم \* وظلوا يفرقهم  
المختلفة يحاربون الأمويين حربا مقدسة \*

يقول شاعرهم قطري بن الفجاءة في الحرب : (١)

لا يركن أحد إلى الإحجام  
يوم الوغى متخوفا لحصام  
فلقد أرايت للرياح دريشة  
من عن يميني مرة وأمامي

---

(١) شعر الخوارج د \* احسان عباس : ١١٢ \* بيروت ط ٣ \*



حتى خضبتُ بما تحدّ من دمي  
أكثاف سرجي أو غان لجامسي  
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب  
جذع البصيرة قاذح الإقدام  
متعرضا للموت أضرب معلما  
بينهم الحروب مشتهر الأعلام  
أدعو الكفاة إلى السزّال ولا أرى  
نحر الكريم على القنا بحرام

وهناك حزب الشيعة ، وكان شعراؤه يصورون في شعرهم اضطراب الأمور في العراق ، وأخذوا ينافحون خصومهم ، ويدفعون أنصارهم إلى التضحية وبذل الأرواح في سبيل تحقيق أمانيتهم والزود عن حياضهم ، وكان شعرهم صدى لحوب الشيعة مع غيرها من الأحزاب الأخرى (١) .

ثم كان حزب الزبيريين ، ووصف شعراؤه ثورات حزبهم ضد الأمويين ، وقد صوروا لنا من خلال شعرهم الحري ما آل إليه أمر الحجاز من اضطراب ، ولا أدل على ذلك من شعر عبد الله بن قيس الرقيات ، فقد خرج معاديا للكميين ومن والاهم ، ومشيدا بالبطولات التي عرفها التاريخ للزبيريين .

---

(١) انظرها شعيات الكميت وما فيها من شعر لأبطال الشيعة .

قال عبيد الله يصف أفراسه مع قومه وقد ركبها : (١)

فَقَدَرْنَا بِهِنَّ فِي غَشَى اللَّيْلِ —  
لِيَقَافَا كَأَنَّهُنَّ الْمَخَالِى —  
أَدْرَكَ الدَّحْلَ فَتِيَّةً مِنْ بَنَى —  
وَبَصِيرَ النَّفُوسِ بَيْنَ الْمَوَالِى —  
لَوْ رَأَيْتُنِي ابْنَةَ التَّوَيْمِ لَيْلَى —  
إِذَا تَلَفَّ الْأَيْطَالَ بِالْأَيْطَالِ —  
حِينَ نَنمَى أَخَاكَ بِالْأَسَلِ السَّفَى —  
رَوْعَتُهُ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِى —  
لَشَفَى نَفْسَكَ انْتِقَامُ بَنَى —  
كَحِينَ الدَّمَاءُ كَالْجِرَالِ —  
طَلَّ مَنْ طَلَّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ يُطْ —  
لِلْطَلَسِ وَلَادِمَاءِ الْمَوَالِى —  
وَبَنَى مَالِكِ بْنِ جَسَلٍ تَارِئَا —  
غَيْرَ فَخْرَيْنَا وَغَيْرَ انْتِحَالِ —  
وَأَصْبَنَا بَعْدَ الرِّجَالِ رَجَالَا —  
وَحَوَيْنَا الْأَمْوَالَ بِالْأَمْوَالِ —

وهكذا كانت الصراعات الحزبية عاملاً قوياً في اتساع آفاق هذا

(١) الديوان : ١١٦ • بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م •

الشعر ، وفي تعدد مناحيه ، حتى جاء غنيا بالمعاني الحربية ومعبرا أصدق تعبير عن المعارك والوقائع التي شهدها العصر وإن كان هذا الشعر قد جاء في بعض الأحيان ممزوجا بأغراض شعرية أخرى ، حتى صارت جل قصائد الحرب والغروسية ممزوجة بالهجاء والفخر والمدح والرتاء ، ظهر ذلك في المدح والهجاء عند كل من جرير والأخطل والفرزدق ، كما ظهر في الرثاء خاصة عند شعراء الخوارج.

فالصلة إذن بين شعر الحرب والغروسية وبين الأحداث السياسية في هذا العصر صلة قوية وثيقة ، بل إنها متلازمان ، لأن شعر الحرب والغروسية شعر يدور حول وصف أحداث البطولة في المعارك الحربية سواء أكان مدار القول هو قائد المعركة أو أمير الحملة أم كانت حول الجنود وآلاتهم الحربية ، أم متعلقة بالشاعر الفارس الذي يفخر بشجاعته ويصف أعمال الغروسية التي تصدر عنه في حومة الوغى . وهذا الشعر هو شعر الاستماتة في سبيل الغاية التي يسببها يناضل أولئك المنازلون في المعارك ، والخاصون للأحداث السياسية ، فكلما نشبت معركة أو حدث صراع سياسي لأمر ما نجد الشعر يصف تلك المعركة ويعبر عن هذا الصراع وما يدور فيه من أحداث ووقائع .

وهذا كله يجعلنا نكرر أن شعر الحرب والغروسية عند العرب عامة يمتاز عن مثيله عند غيرهم ، فهو وليد مواقف وصراعات حقيقية وقعت بالفعل . ثم إن هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بهذا الشعر كسير

ما كابدوا الحروب وعانوا شدائد ها • فلم يقولوا الشعر وهم بمعيدون  
عن الحروب • ولم يسجلوا وقائعها دون أن يكون لهم عهد بها  
كما يفعل معظم شعراء الأمم الأخرى •

\* \* \* \* \*

### ( ٣ ) نهضة شعر الحرب والغروسيية

~~~~~

ليس من شك في أن العصر الأموي شهد عدة ظواهر جديدة
بالتسجيل والدراية • ففيه تطور الشعر • وأصبح له دور بارز في
تصوير الحياة الجديدة وما حدث فيها من تطورات سياسية سادت العصر
من مبتدئه إلى نهايته •

ولو ذهبنا نلتصق فنون الشعر وموضوعاته في هذا العصر
وجدناها تنبع غالبا من روافد ثلاثة : رافد تقليدي يمثل فـنـى
الموضوعات القديمة كالمدح والهجاء والفخر والوصف ... ورافد كان
قبل ضيق الأفق قريب الغور • إلى أن كان العصر الأموي فلم يبق على
ما كان عليه قبل • بل استعنت مناحيه ودخلها كثير من التجديد
الذي جاء بسبب الحضارة بألوانها المختلفة • ذلك هو شعر الغزل
المعذري •

أما الرافد الثالث فإنه مع ثرائه وتعدد موضوعه جديد كل الجدة
بما استكمل من مقومات في هذا العصر • ذلك هو الشعر السياسي

ومنه شعر الحرب والغروسية * وقد كان الصراع الحزبي أبرز أثرًا في
هذا الشعر من الصراع الحزبي في أواخر صدر الإسلام أو في عصر
بنى العباس *

وأحسب أنه لا يستطيع أحد أن يفصل بين شعر الحرب
والغروسية وبين الشعر السياسي * فإن شمة شعرا كثيرا من النوع
الأول كانت السياسة دافعة إليه * وما قيل منه لأجل الحرب قيل أيضا
لوجه السياسة (١) *

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الشعر السياسي الذى
أثمره الصراع في العصر الأموى يعد تراثا ضخما في أدبنا العربي
وهو — وإن امتدت العوامل الفعالة في نهضته وازدهاره إلى غيره
من العصور — يعد مرآة لمجتمع شهد صراعا حزبيا أشد غفقا وأطول
مضى * ونجست في أرضه دعوات وآراء سياسية متعارضة * نفسا
يسببها حزب وأقل يسببها نجم حزب آخر *

* فما هي إذن العوامل الفعالة في ازدهار الشعر السياسي ؟
وبالأصول التي قامت عليها نهضة هذا الشعر ؟ لأن كل هذه
العوامل تمتد إلى شعر الحرب والغروسية * لما كان للشعر السياسي
من تأثير واضح في هذا اللون من الشعر *

(١) انظر شعر الحرب في أدب العرب د * زكى المحاسنى : ٥١ - ٥٥ .

(١) تعدد الأحزاب السياسية :

ليس من شك في أن الحياة السياسية في عصر بني أمية لم تكن حياة هادئة ، بل كانت حياة ثائرة ، وقد وقفت الدولة الأموية طوال عمرها أمام الأحداث العنيفة ، فلا تكاد تتغلب على عدو حتى يبرز لها عدو آخر ، حتى إذا أذن الله أن تتغلب عليه فاجأها عدو آخر أو أفاق العدو الأول ليستأنف معها المعركة من جديد . (١)

وسرطان ما تكونت تحت تأثير هذه الصراعات أحزاب سياسية ثلاثة أخذت تعارض بني أمية وتخاصمهم وتدعو إلى الخلاص منهم وقد تألفت هذه الأحزاب حول فكرة الإمامة أو الخلافة ومن الأحقق بها من المسلمين ؟ (٢) وأهمها أحزاب الشيعة والخوارج واليزيديين .

يقول جورجى زيدان : " يختلف العصر الأموي عن عصر الراشدين اختلافا كبيرا من أوجه كثيرة ، وبعد انتقال الدولة الإسلامية إلى بني أمية انقلابا عظيما في تاريخ الإسلام ، لأنها كانت في زمن الراشدين خلافة دينية ، فصارت في أيامهم ملكا عضويا وكانت شورية فأصبحت إرثية ، وقام معاوية يطلبها ، وينازع أعصام النبي وأبنائه ، وعليها ، والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها

(١) الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، د . الطيب النجار ص ٥٥ .

(٢) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ص ٨٥ ، دار المعارف ط ٦ .

وأن معاوية طليق لا تحل له الخلافة • وأنه لم يعتق الإسلام
إلا مكرها • ولكنه تمكن بدعائه وسعة صدره وبذله الأموال من
التغلب عليهم جميعا • فأسس الدولة الأموية • (١) •

وأكبر الظن أن تعدد الأحزاب وتصارعها بالألسنة والأقلام
كما تتصارع بالسيوف والسياح • ويقف كل شاعر بجانب حزبه يعضده
ويدهوله • ويحمل على خصومه • كان من أقوى العوامل في نهضة
الشعر بصفة عامة • وكان أشد هذه العوامل قوة في نهضة الشعر
السياسي بصفة خاصة • فهو ينبوع ثرله • ولولم تكن الحزبية
والصراع ما كان ذلك الضرب من الشعر •

كما كان لظهور هذه الأحزاب على مسرح الحياة السياسية
أثرها على وعظيمة في ظهور ذلك اللون الجديد من الشعر السياسي
الذي تمثلت فيه شخصيات تلك الأحزاب ومبادئها وأهدافها • فأنت
تشهد لها ضد كل صدام للشعراء • وتراها في كل محاربتهم • وفي
كل جولة من جولاتهم • بل إن هذا اللون من الشعر سرطان ما انتعج
بين شعراء الحزب الأموي • فتعددت فيه مشايهم وأهواؤهم حتى
أصبح لكل شاعر منهم موقف خاص وظروف معينة توطئته — بين
بنى أمية (٢) •

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١٩٢/١ • الهلال ١٩٣٦ •

(٢) انظر تاريخ الشعر العربي • الكفراوي : ٨٩/١ وما بعدها
دار نهضة مصر •

(٢) تقدير الحكام للشعر وللشعراء :

كان خلفاء بني أمية أشد ميلا إلى العلم والأدب ، وكانوا يزاحمون العلماء والأدباء ويجعلون من مجالسهم حلقات لأوساب المعرفة ، يتصارعون في الرأي ، أو يقارعون في الحجة ، حتى اشتهر كثير منهم بالشعر وروايته (١) .

ولقد حرص الخلفاء على اجتذاب الشعراء واتخاذهم ألسنة تنافح عن حكمهم ، وتدعو إلى تقبله وتأييده . وكان معاوية أسبق الخلفاء إلى انتهاز هذه السياسة ، بل إنه انتهج ذلك قبل أن تتحول إليه الخلافة (٢) .

وموقف معاوية من الشعر جد يربعناية الدارسين ، لأنه يعطى فكرة واضحة لروح ذلك العصر وجوهر العام ، فقد قال : " يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر أعلى مراتب الأدب " وقال : اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم (٣) .

وكان عبد الملك بن مروان أوضح سبيلا في تشجيعه وحفظ الشعر وروايته ، ففي عهده أصبح الشعر أكثر من أي وقت آخر شديدا الالتصاق بمجرى الحياة اليومية .

(١) انظر الأدب الأموي د . أبو الخشب : ١٧ وما بعدها . الهيفة الصرية العامة .

(٢) أدب السياسة في العصر الأموي د . الحوفي : ٢٥٧ .

(٣) العمدة لابن رشيقي : ٢٩/١ . دار الجيل بيروت .

ولعل خير مثال نسوقه للدلالة على مكانة الشعراء عند
الخلافة * هو الأخطل فقد اصطفاه يزيد بن معاوية طوال خلافته
وقربه إليه عبد الملك بن مروان * وكان عبد الملك عظيم الإعجاب به
كثير المكافأة له *

قال مرة لعبد الملك : يا أمير المؤمنين * زعم ابن المراغة
أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك :
* خف القطين فراحوا منك أو بكروا *

سنة فما بلغت كل ما أردت * قال عبد الملك : فأسمعناها
يا أخطل * فأعده إياها * فجعلت أرى عبد الملك يتناول لها
ثم قال : ويحك يا أخطل ! أتريد أن أكتب إلى الأفاق أنك أشعر
العرب ؟ قال : اكتفى بقول أمير المؤمنين * وأمر له بجفنة كانت
بين يديه فمكت دواهم وألقى عليه خلعا * وخرج به مولى لعبد الملك
على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين * هذا أشعر العرب^(١)

والحجاج بن يوسف مع ما فيه من جد وصرامة كان يسير فسي
ذلك الاتجاه * فكان يستشهد بالشعر ويخاصة الجاهلي منحه
والأمر المؤكد أنه وغيره من الأمويين شجعوا بمختلف الأساليب والسبل
أحيا تراث العرب وعلى رأس ذلك الشعر * وقد دفعهم هذا

(١) الأغاني للأصبهاني : المجلد الثامن ٣٠٣٣ هـ ٣٠٣٤ هـ كتاب
الشعب ط ٢ *

الاهتمام إلى النظر للشعر نظرة تكاد تخالف نظرة من سبقهم (١) .

وقد انتهج ولاية بنى أمية وقوادهم هذا النهج . ففجعوا الشعراء على الإشادة بهم . حتى رحل الشعراء إليهم ومدحهم ونالوا عطاياهم . وظلوا يتزاحمون على قصورهم . حتى أصبح لهم شعراء في كل مصر .

ولو أردنا احصاء شعراء الدولة الأموية لوجدنا ذلك أمرا شاقا . وحسبنا أن نذكر أن من شعرائهم بالجزيرة (الأخطل) و (أعشى تغلب) والبصرة (جرير والفرزدق) والكوفة (عبد الله الأسدي) والمدينة (الأحرص) . مكة (أبا العباس الأعشى) والشام (عدي بن الرقاع العاملي) .

على أننا نضم إلى هؤلاء الشعراء شعراء آخرين عرفوا بأنهم من شعراء البلاط الأموي . يدورون في فلك خلفائه . ويتبنون آراءهم . ويظهرون حقهم في الخلافة . وقد أفاد هؤلاء شجرة وذكرنا بين الناس بفضل مدائحهم في الأمويين وثنائهم عليهم . ومن هؤلاء القطامي . وسكين الدارمي . ونابغة بنى هيان . وكعب الأشقر . والمتوكل الليثي . والراعي النيمري . فمن هؤلاء من أخلص للأمويين إبان ملكهم . وظل على هذا الإخلاص بعد أن دالت دولتهم وزال ملكهم .

(١) انظر شعر البصرة في العصر الأموي د . عون قاسم : ٧٧ وما بعدها دار الثقافة بيروت ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

وقد انتهج القصر سياسة التشجيع للشعراء * فوزع عليهم
حظوظهم من الشهرة والرزق * وكان يتصرف في شعريهم ويحدد لهم
مجال القول فيه (١) * وانتهج الشعراء نفس النهج * فانصاع كل
منهم لما هو مطلوب منه * وأخذ يتحين القوس المواتية لكي يقول فيما
وضع له بدافع الرغبة أو الرهبة دون أن يصادف نظمه هوى في نفسه *

يقول الدكتور بنت الشاطي : " إن قسوة الوضع الاجتماعي
تحت حكم الفرد المطلق * نشأ عنها انحراف في خطير * حين
ظهرت كثرة من الشعراء على وجدانهم وضاعرهم وألسنتهم * فانساقوا
— تحت ضغط الرهبة أو الرغبة — يقولون ما لا يجدون * وشاع
التناقض والتزييف الوجداني * والبالغات المسرفة * والدعواوى
المسرفة " (٢) *

ولعل هذا هو السر في أننا إذا أجلنا النظر في شعري
المديح نلمس في كثير منه نفاقاً وتزييفاً في الشاعر * وهذا أمر
طبيعي * لأن الشعر تحت هذا الوضع وفي مثل هذه الظروف لا يخرج
قطعة من نفس الشاعر * لأن الشاعر إذا صادف النظم هوى في نفسه
فإنه يجد راحة في شعريه ويخرج الشعر قطعة من شعريه بصرف النظر
عن عوامل الضعف أو الازدهار التي قد تعتري العصر *

(١) قيم جديدة للأدب العربي د * بنت الشاطي * ص ١٠٠ ط ١٩٥٥م

(٢) قيم جديدة للأدب العربي : ١٢١ *

(٣) ازدهار الثقافة الدينية والأدبية :

لا شك أن عصر بنى أمية قد أمدته روافد عديدة دعتهم دعماً
وهو دم نجد آثاره في كثرة المناظرات التي نشبت بين الأحزاب
السياسية المختلفة ، وبين الآراء المتباينة في الدين ، وإن كان
الفقهاء يتجادلون طويلاً في مسائلهم الفقهية بين أيدي الخلفاء
وفي مجالسهم الخاصة والعامة ، وقد كثرت هذه المناظرات حتى
نشأ عنها علم الاختلاف أي اختلاف الفقهاء (١) .

كذلك نجد آثار هذا الدم في ازدهار الثقافة الدينية مثل
علوم الفقه والتفسير والحديث ، وشيوع الجدل في المسائل الفقهية (٢)
وكثيراً ما كان يتمدها إلى مسائل تعد من الأصول الأولى لعلم
الكلام ، مما جعلهم يتوزعون فرقاً وأحزاباً ، بل وتتوزع الفرقة الواحدة
إلى فرق ، مثل الخوارج فقد ضمت فرق الأزارقة والنجدية والصفرية
والإباضية .

هذا إلى ازدهار الثقافة الأدبية من لغة وشعر وأخبار ، فقد
خطت تلك الثقافة خطوات واسعة دفعت بالأميين إلى الاهتمام
بما خلف العرب من تراث أدبي ، والاهتمام بصيغ دولتهم صيغة معينة
وقد جرهم ذلك إلى الاهتمام بالشعر الجاهلي كوسيلة لإحياء أمجاد
الماضي بقصد رسم صورة مشرقة للحاضر .

(١) تاريخ الأدب العربي د . شوقي ضيف العصر الإسلامي : ٢٠٤ دار
المعارف ط ٨ .

(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ : ١/٢٤٣ ، ٢/٣٢٢ ، ٣/٣٢٣ .

وقد نتج عن هذا أن احتفى الخلفاء بالشعراء فأغدقوا عليهم العطايا ، واهتموا بالشعر وروايته ونقده ، وقدوا مجالس السمرية في قصورهم ومجالسهم .

على أنهم لم يكتفوا بتشجيع الشعراء فحسب ، بل أخذ كثير منهم يغرون بعض الشعراء ببعض ، ويخوضون بعضهم على هجاء بعض ولعل غاية الخلفاء من هذا أنهم أرادوا أن يغفلوا الشعراء وقبائلهم بالصراع الأدبي ، ويصرفوهم عن المشاركة في السياسة .

وذكر الأصمهاني أن جريرا وقف على باب عبد الملك بن مروان والأخطل دخل عنده ، وكانا قد تهاجيا ولم ير أحدهما صاحبه فلما استأذنا عليه لجرير أذن له فدخل فسلم ثم جلس وقد عرفه الأخطل ، فطرح طرف جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظرا شديدا فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذي منعت نومك وتهضمت قويمك . فقال له جرير : ذلك أشقى لك كائنا من كنت : ثم أقبل على عبد الملك فقال من هذا يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ! فضحك ثم قال : هذا الأخطل يا أباحزرة . فقال جرير : فلاحياك الله يا ابن النصرانية أما منعك نومي فلو نمت غدا لكان خيرا لك ، وأما تهضمت قويم فكيف تهضمهم وأنت بمن ضوت عليهم الذلة وما بغضب من الله وأدى الجزية عن يد وهو صاغر . وكيف تهضم لا أم لك قوما فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عدا مأمور ومحكم عليه لاحاكم . ثم أقبل على عبد الملك فقال : ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية

قال : لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي * (١) .

وكان معاوية عظيم الإعجاب بالشمس * وكثيرا ما يستشهد به
في المواقف والمناسبات * حدث مرة فقال : لقد رأيتني ليلة
الهرب بصغين - وقد أتيت بغرس أغرمت حجل بعيد البطن من
الأرض * وأنا أريد الهرب لفدة البلوى - فما حملني على الإقامة
إلا أبيات عمرو بن الأطنابة :

أَبَتْ لِي هَمَّتِي وَأَبَى بِلَاقِي
وَأَخَذِي الْحَدَّ بِالْثَمَنِ الرَّيِيحِ
وَاقْحَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي
وَضَرِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَقْبُوحِ
وَقَوْلِي كَلِمًا جَشَاءَتْ وَجَاءَتْ
مَكَانَكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرْحِمِي
لَأُدْفِعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتِ
وَأُحِمِّي بَعْدَ عَنِ عَوْضِ صَحِيحِ (٢)

على أن الخلفاء قد عزا بغضاحة أبنائهم فعمدوا بتوبيختهم
وتهذيبهم إلى طائفة من العلماء * وقد أخذ هؤلاء المؤدبون يتقفون
هؤلاء الناشئة باللغة والشمس والتاريخ والأنساب *

(١) الأغانى : المجلد الثامن : ٢٨٠٨ * ٢٨٠٩ * دار الكتب .
(٢) المصدا : ٢٩/١ *

وقد أوصى معاوية باتخاذ الشعر وسيلة من وسائل التربية
فقال : " يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر أعلى مراتب
الأدب " (١) .

كل هذا التشجيع كان سببا مباشرا في تأنيق بعض الشعراء
في شعرهم ، كما كان سببا في ظهور رواة للشعر ، يحرصون على
جمعه وحفظه وتدوينه ، وقد اشتهر من بين هؤلاء أدباء أعلام
مثل حماد والأصمعي وأبى عمرو بن العلاء (٢) .

(٤) ويتصل بهذه الأسباب أسباب أخرى من بينها ماساد العصر
من حرية ، تنبثت في تفاض الخلفاء عن هفوات الشعراء ، وغفهم
عن التأثيرين منهم الذين حملوا على بعض الخلفاء ، أو قبحوا
سياسة أحد من الأمراء ، يضاف إلى ذلك ما حدث من نما للثقافة
اللغوية ، ومن الجدل المحتدم بين الفقيه الدينية ، وكثرة الوفود
على الخلفاء والولاة ، وما تهيأ للشعراء من قرائع غضة دفعتهم دفعا
لخدمة هذا الضرب من الشعر ، حتى نبغ فيه شعراء فحول هزوا
الدنيا بشعر الهجاء والفخر والحماسة ودعايات السياسة وذكر
الحروب .

وإذا كان شعر الحرب والغزوية (٣) يعد أثرا من الآثار

(١) المصدر نفسه ونفس الصفحة .

(٢) انظر غنى الإسلام أحمد أمين : ٢ / ٢٩٨ وما بعدها . نهضة
عصر ط ٨ سنة ١٩٧٤ .

(٣) راجع عنوان شعر الحرب والغزوية والحياة الجديدة في العصر الأموي .

الطبيعية التي تمخضت عن الأحداث السياسية بما تتضمن من شورات ومعارك دارت رحاها على أرض الدولة ، فإن التلازم بين هذا الشعر وبين تلك الأحداث والتطورات أمر لا ينكره أحد ، فكلما وقعت صراعات سياسية أو تمخضت هذه الصراعات عن معارك حربية فإننا نجد شعر الفروسية والحرب يلائم هذه الأحداث ويعبر عنها وما يدور فيها من أحداث وقائع .

ومن هنا فإن عوامل نهضة الشعر السياسي في العصر الأموي هي نفسها عوامل نهضة شعر الفروسية والحرب ، لأن العلاقة بين الشعرين كعلاقة الكل بالجزء ، إلا أننا يمكن أن نضيف إلى هذه العوامل عوامل أخرى قد تكون أحسن من سابقتها وأقرب إلى نهضة شعر الفروسية والحرب ، وهذه العوامل هي :

أ - الصراع الأدبي الذي نشأ نتيجة طبيعية لسياسة الأمويين وولاتهم ، إذ كانوا يحرضون الشعراء على هجاء بعضهم ودم شجاعة غيرهم ، وبالحكم من سلطان ، ومن هنا انبرى الشعراء يحدون أنفسهم وقوسهم ويذمون خصومهم الذين قد يكونون خصم حرب وهذا الفرار هو نفسه الذي كان يختر عليه شعر الحرب والفروسية^(١).

(١) انظر شعر الحرب في أدب العرب : ٥٦ - ٥٩ .

ب — أن الشعر الأموي قد تأثر في عومه بالشعر الجاهلي وشعر الحرب والفروسية قد تأثر من فواتحه إلى خواتيمه بالشعر الجاهلي • وأى شعر في الحاسة والحرب أشد قيذا وأبعد أثرا من الحاسة الجاهلية وشعر الحرب فيها ^(١) • لما فيها من دقة التصوير وسرعة الوصف وبتانة الديباجة •

ج — وقد تكون موضوعات شعر الفروسية والحرب هي التي هيأت القرائح ودفعت الشعراء إلى أن يرتقوا بهذا الفن من الشعر لأنه لم يحدد أحد للشاعر مجال القول فيه • ولكن الشاعر هو الذي يهب نفسه له فيصف المقاتلين يتلاحمون بين الحياة والموت • ساكبا على كل ذلك تعابير العربية في أروع قوالها •

د — ثم أن شعراء الفروسية والحرب كانوا مسوقين لهذا الشعر بدافع من الروح الإسلامية • فهم يدافعون عن حوزة الإسلام إذا ما كانت الثورات والحروب في الأقاليم والأمصار المفتوحة • ويمتفون في الدين المثل الأعلى والغاية السامية مجردة عن باطل الحياة إذا ما كانت الصراعات صراعات حزبية داخلية •

(١) شعر الحرب في أدب العرب : ٥١ •

(الباب الثاني)

(شعر الحرب والغروسة في أدب بنى أمية)

تمهيد :

موضوعات شعر الحرب والغروسة ليست جديدة كل الجدة
ولست وليدة هذا العصر . فقد صور شعراء العرب في الجاهلية
المعارك الحربية التي دارت بين القبائل . وسجل شعراء صدر
الإسلام الأحداث السياسية وما نتج عنها من حروب ومعارك دارت بين
المسلمين وبين غيرهم .

وموضوعات هذا الشعر ليست مستقلة استقلالاً تاماً عن بقية
الأغراض الشعرية . فقد تكون القصيدة في موضوع كالمدح أو الهجاء
أو الفخر . وإذا فتشنا فيها وجدنا أبياتاً تدخل في نطاق الحرب
والغروسة . وهذا هو طابع الشعر العربي في كل عصوره . فمن
النادر أن تجد قصيدة ذات موضوع واحد ولا سيما في الشعر الغنائي
وهذا لاضير فيه وإنما يكون الحكم على الشاعر بقدر ما يحسن التخلص
وقد وما يجيد الانتقال من معنى إلى آخر .

وحين تعرض الدكتور زكي المحاسنى ^(١) لفن المتنبي في
شعر الحرب نجد يوزع هذا الشعر في الأدب العربي إلى ثلاثة
أصناف هي :

(١) شعر المديح . (٢) شعر الفخر .

(٣) الشعر العربي الصريح الذي قيل خاصة لوصف القائع والمعاصم .

(١) شعر الحرب في أدب العرب : ٣٠٧ .

ونحن نقرأ ما قاله الدكتور المحاسنى * ونضيف إليه أن هناك موضوعات شعرية أخرى تضمنت شعرا للحرب والغزوية مثل شعر الهجاء والشعر الدينى وموضوعات بكاء الأطلال .. وغير ذلك مما سنوضح فى الموضوعات الشعرية .

* * *

وقد امتلأ العصر بكبريات الأحداث * ولم تخل فترة فيه من ثورات لوافح أو فتن عارمة أو معارك ضارية . ففى بداية العصر كان قتل عثمان بن عفان * وقام المطالبون بالتأثير له باتهام على بن أبى طالب بأنه وراء هذا الحادث * وما كان إلا أن أخذ على يدافع عن نفسه فكانت موقعة الجمل التى تمخضت عن فوز على وهزيمة عائشه وجمعها ثم تترد معاوية على على ومطالبته بالتأثر لعثمان ولعن قتل فى موقعة الجمل * وتنكر على لكل الذى طلب معاوية . ثم الشيعة وموقعة صفين ولجؤ معاوية إلى المكر والحيلة والاحتكام * وخرج الخوارج على على بسبب قبوله التحكيم * وقيام هؤلاء بمحاربة على من ناحية ومعاوية من ناحية أخرى . ثم قيام الزبيريين واضطهادهم للشيعة شأنهم شأن الأمويين والخوارج * ثم استتباب الأمر للكميين وسلهم السيوف فى رقاب الخوارج والشيعة والزبيريين * ثم انقسام الأمويين على أنفسهم وختم دولتهم . كل هذه الأحداث كانت حقا خصبيا للشعراء فأخذوا يصفون الحروب ويهيمون بالأحزاب * كل يدعو لحزبه ولفرقه * ويهجم على الأحزاب الأخرى تهديدا ووعيدا .

لأجل ذلك كله رأيت أن أقسم الشعراء باعتبار انتمائهم لأن كلا منهم كان يسير في وصفه للفروسية والحرب سائرا يرضى عنه حظه ويتفق ويبادته . ولذلك قسمت هذه الدراسة إلى :

- (١) شعر الحرب والفروسية عند شعراء بني أمية .
- (٢) شعر الحرب والفروسية عند شعراء الخوارج .
- (٣) شعر الحرب والفروسية عند شعراء الفيممة .
- (٤) شعر الحرب والفروسية عند شعراء الزبيريين .

ولعل شعراء بني أمية لم يقصروا شعرهم على السياسة لأنهم تناولوا جميعا فنونا شتى . على حين أن غيرهم من شعراء الأحزاب الأخرى كـشعراء الخوارج مثلا قد أوقفوا شعرهم على نصرة مذهبهم وما يتصل به . بل قل إنهم لم يتعدوا هذا إلى غيره من فنون الشعر الأخرى .

وليس معنى ذلك أن هذا الحزب لم يشهد من الأحداث السياسية ما يوفر لشعرائه مجال القول . فقد امتدحوا فيه الحوادث وصادمتهم الخطوب من كل صوب . وكانت مهمة الشعراء في كل هذه القلاقل والحروب أن يقولوا شعرا يحصلون فيه على خصوصهم . وبعد حون الفاتحين والمأزنين من بني حنيفة . وقد كان في مجال القول لهم سعة . فالمراق لا يخلو من الفتن والثورات . وإقليم فارس وثغور الروم ساحة لفتوحاتهم وتوسعاتهم .

ولعلنى أرجح أن هذا مرجعه إلى أن شعراء الحزب الأموى كانوا من الكثرة بحيث يمكن أن تصنفهم إلى صنفين أو فريقين :

(١) فريق لم يكونوا قد أشعروا مذاهب الأمويين السياسية وإنما كانت قلوبهم تميل إلى أحزاب أخرى . ومع ذلك كانوا يصطنعون المودة للأمويين فيتبايئون في أرضاء الخلفاء ويتناغمون في نيل عطاياهم وكان شعرهم فيهم يتسم بالبالغة والتزلف والملق (١) .

(٢) شعراء أشعروا المذهب الأموى كما أعرب ابن قيس الرقيات المذهب الزبيرى . أو كما اعتنق الكمية مذهب الشيعة فهؤلاء الشعراء صدقوا مع بنى أمية في شعرهم . فأشادوا بالخلفاء والولاء والقواد . ومن شهد من هؤلاء فتنة أو ثورة أو حربا كان أحسنهم قولاً وأصدقهم وصفاً . وخرج شعره في الحرب والفروسية وكأنه ثورة غالية المناد جاححة القياد . وترى في شعر هؤلاء المعانى التى ذيعت في شعر الحرب والفروسية . كوصف الأمويين بسمو النفس وفضائل الخصال . ووصف تقواهم وخلافتهم لله فى الأرض . ثم وصف الشجاعة والتفانى في الحرب إما ضد المنشقين المتبردين وإما ضد الثغور والبلاد المفتوحة .

(الفصل الأول)

XXXXXXXXXXXX

" شعر الحرب والفروسية عند شعراء الديح والهجاء "

كان هذان الفرعان من الاتساع بحيث استحوذا على أكثر

(١) انظر حصر الدكتور الحوفى لهؤلاء الشعراء : أدب السياسة : ١٨٠ و ١٨١ .

من نصف الشعر المعروف في هذا العصر * وذلك لأن السياسة —
كما سبق أن قلنا — كانت هي المحور الذي تدور حوله الحياة في ذلك
الزمن * وكانت شغل الخلفاء الشاغل * وعمل رجال دولتهم وأعوانهم
ومن يتعصبون لهم * ومن يناوئونهم ولا يهون رأيهم * أو لا يرتضون
حكمهم * وكان الشعر يدور محوره حول التنويه بفضل الحزب الذي
يدافع عنه الشاعر ويمجده * ذلك هو شعر المدح * وكان يغلب
على أصحاب هذا اللون من الشعر أنهم لا يكتفون بمدح الطرف الذي
ينحازون إليه * ويقفون بجانبه * ويدافعون عنه * وإنما يتجاوزون
ذلك إلى ذم الخصم * أو النيل منهم والزراية بهم *

ولاستطيع القول في هذا المجال أن هؤلاء الشعراء قدموا
فناً خاصاً بالحرب والفروسية * إذ لم يكن من خطتهم أن يفعلوا ذلك
وإنما جاء هذا وذلك ضمن مدحهم وهجائهم * وكان الديح والهجاء
عندهم وقفاً لعقيدتهم الدينية التي يحملون من أجلها * وفي إطار
الأهداف السياسية التي يسمعون لتحقيقها *

وهذا اللون يتضح عند (الأخطل والفريزدى وجبير) * أشعر
أهل العصر الأموي * وخير من يمثل العصر * ثم إن شعرهم قد
ذهب — أو كاد — في تدبيح قصيدتي الديح والهجاء^(١) * وكانوا
يمدحون أو يهجون بما يتفق وطبيعة الخلفاء ورجال الدولة * وكان
رجال الدولة الأموية من قوم لهم أريسة في الشجاعة ومهارة في الحرب

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي * عوفى ضيف : ١٣١ *
دار المعارف ط ٦ *

صراعة في الكر والفر ، بل إنهم عشقوا الحرب وهاموا بها ، وعاش بعضهم منتطيا صهوة جواده ، متشفقا حسامه ، يقود الجيوش ويخوض المعامع .

فإذا كانت هذه طبيعتهم من حب للحرب وعشق للشجاعة وابتهاج بالمدح وهيام بدم خصومهم ، أدركنا أنه من الطبيعي أن يتضمن الشعر المتصل بهم لونا جديدا يتلاءم مع رغباتهم ويتشبع وهذه الحياة السياسية المصبوغة بصبغة حزبية ، من معارك فيها نصر أحيانا وهزيمة أحيانا أخرى . فإذا كان نصر وصف الشعراء المواقع والتحام الجيوش واقتحام الصفوف . وإذا ما كانت هزيمة حاول الشعراء أن يخففوا من وطأتها ، وأن يلتسوا العذر ويهونوا من شأنها .

وقد اقتصر شعرا الأخطل في مستهل عهده به على الهجاء وظل على هذا فترة حتى أسعفته الحياة الحزبية العنيفة ، فأوحت إليه شعرا جديدا أخذ يمجّد فيه البطولة ويباركها ، ويصف الوقائع ودقائقها ، ولعله أكثر من صاحبيه (الفرزدق وجريور) وصفا للحرب وذكرها للقتال .

وقصائد في عهد الملك بن مروان تنفيض بأوصاف الحرب والغزوية ، ففيها يهجو الخصوم ، ويمض بهم في التقهقروالهرب ويفخر بالمعزو عنهم ، كما أنها سجل لتجديد قوته والإشادة بمآثرهم وهذا شيء طبيعي ، فالأخطل كان لا يزال مأخوذا بهموم قبيلته

وقد ابتلاه دهره بالغزوة • فتوسط الحرب بين قومه بنى تغلب
وبين قبائل القيسية •

ففي بائيته التي مطلعها (١) :

لعمري لقد أسريت لآلئ عاجي
بساهمة الخدين طائفة القسري

نراه يستهلها بهجاء القيسيين • ثم يمتدح بنى أمية • فهم
هامة قريش • عريقون في الملك • حلاء • فتاكون بأعدائهم :

إليك • أمير المؤمنين • رحلتها
على الطائر اليمون والمنزل الرخب
إلى مؤن تجلو صفيحة وجهه
بلايل تغشى من هموم ومن كروب
مناخ ذوى الحاجات • يستطوونه
عطاء كريم من أسارى ومن تنهب
ترى الحلق المائي تجري قسولك
على مستخفي النواكب والحروب
أخوها إذا شالت عسوا سألها
على كل حال من ذلول ومن صعب

وصف بعض الخليفة بالخيل إلى الحرب • ويعظم مدحهم
من خلال تعظيمه لأصالته خيله • ويذكر مقامه به من غزو للروم والقوس

(١) شرح ديوان الأخطل : ١٨١ •

وما كان من أثر لهذه الغزوات • يقول :

إمام سما بالخيل حتى ثققلت
قلبك في أغواق مُعلّمة • حُدب
شواخص بالأبصار • من كل مقرب
أعد لهيجا • أو مواقة الركب
سواهم • قد طودن كل عزيمة
مجللة الأشطان • طيبة الكسب
يعاندين عن صلب الطريق من الوجاه
وهن • على العيالات • يتردين كالتكب
إذا كلفوهن التناهي • لم يزل
غراب على عوجاء منهن أو سقوب
وفي كل ظم • منك للريم غزوة
بعيدة آثار السنايك والتسرب
يطرحن بالشر اليخال • كأننا
يُفَقِّقن بالأشلاء أودية العصب
بنات غراب • لم تكمل شهرها
تقلقلن من طول المغاوز والجذب
ولن لها يومين : يوم اقامة
ويوما تشكى القصر من حذر الدرب
غموس الدجى تشقى عن متفرج
طلوب الأعدى • لاسؤوم ولا وجب

ثم يهجر ثانية على الأمويين ويشيد بعراقتهم في الملك فيقول :

قُرَيْمُ أَبِي الْعَاصِي ۝ غَدَاةٌ تَخْطَطُّ
دَمَشْقُ بَأْسَاءِ الْمَعْنَاةِ الْجُرْبِ
يَقُودُونَ مَوْجًا مِنْ أُمِيَّةٍ ۝ لَمْ يَكُنْ
دِيَارُ سَلَمٍ بِالْحِجَازِ وَلَا الْهَضْبِ
مُلُوكٌ وَأَحْكَامٌ وَأَصْحَابُ نَجْعٍ
إِذَا شَوَّغُوا ۝ كَانُوا عَلَيْهَا إِلَى شَقَبِ
أَهْلُوا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَأَصْبَحُوا
مَوَالِيَّ مُلْكٍ ۝ لَا طَرِيفَ وَلَا غَسْبَ
تَذُودُ الْقَنَا وَالْخَيْلُ تُشْنِي عَلَيْهِمْ
وَهُنَّ بِأَيْدِي الْمُسْتَمِيتِينَ كَالْمُهْبِ
وَلَمْ تَرَعِيَنِي مِثْلَ مُلْكٍ رَأَيْتُكُمْ
أَتَاكَ بِلَا طَعْنِ الرِّيحِ ۝ وَلَا الضَّرْبِ
وَلَكِنْ رَأَى اللَّهُ مَوْضِعَ حَقِّكُمْ
عَلَى رِغْمِ أَعْدَائِكُمْ وَصَدَادَةٌ كُذِّبَ

والشاعر يبلغ في الأبيات ذروة المعظمة ۝ وهي تدخل فسي
صميم الشعر الحوي ۝ إذ ابتدأها بوصف الخليفة بأنه يفزع خصومه
ويقهرهم ويفتك بهم ۝ ولا يفوته أن يصف الخيل لأنها العامل الأول
في القتال ۝ فيصف سراها وما أصابها من هزال ۝ ثم يهجر إلى
حروبه مع الروم والفرس وما أصابهم من فزع وذعر ۝ ويعود إلى المديح

مرة ثانية فيصف الأمويين بالمراقبة في الملك والنجدة وأنهم أحق بالخلافة من الذين ينازعونهم لما نالوه من فضل .

ولعل ماغذ الأخطل من روح القبلية هو الذي جعله يجيىء شعر الحرب ويبرز فيه . وكثيرا ما كان يهجو جريرا وقومه . ويقرون ذلك دائما بمدح تغلب ويشيد بهرهم إلى القتال ونصرتهم لبني قوسهم . وكان يتصالف على جرير ويعيره بأنه يروى . لأنهم كانوا أخلافا للقيسية التي كثيرا ما حاربت قوم الأخطل .

وقد خرج الهذيل بن هبيرة التغلبي مرة في غزوة على بنى رياح بن يربوع فانتهاز الأخطل هذه الغزوة . وأخذ يكيل التهكم لجرير . ووصف جيش الهذيل وأخلافه وفرسانهم وخيولهم . يقول (١) :
ولقد سما لكم الهذيل فنا لكم . . . بأرباب حيث يقسم الأنفالا
في فيلق يدعو الأراقم لم تكن . . . فرسانه عزلا ولا أكفالا
بالخيل ساهمة الوجوه كأنما . . . خالطن من عمل الوجيف سالا
ولقد عطفن على قدارة عطفة . . . كثر المنيع وجلن ثم مجالا
فسقين من عادين كأسامرة . . . وأزلن حدبني الحباب فزالا
يقتلن جيفة كاهل عرينها . . . وابن المهتم قد تركن مذالا
فقتلن من حمل السلاح وغيرهم . . . وتركن قلوبهم عليك عيالا
ولقد بكى الجحاف ما أوقعت . . . بالشرعية . إذ رأى الأطفالا

(١) شرح الديوان : ٣٩١ و ٣٩٢ .

فانعمق بضأنك يا جرير فإنما . . . متتلك نفسك في الخلاه ضللا

تلك هي جولات الأخطل في شعر الحرب . وهي ترينا كيف
كان قادرا على وصف الممارك وتصوير الحرب في شعر المديح والهجاء
فكان قديرا حين مزج بين هذين الفنين وبين شعر الحرب . ولو
حدث وتفرغ الأخطل لشعر الحرب وقال فيه قصائد خالصة كما قال
في المدح والهجاء وغيره لكان قد فاق طبقته . . إلا أنه قد شغل
بهجائه مع جرير . وضح هو صاحبه وقتا كثيرا من حياتهما في هذا
الهجاء . الأمر الذي حال بين الأخطل وبين شعر الحرب والفروسية
المطول . الذي يؤرخ للممارك وتنافسها . ويصورها تصويرا صادقا .

وعلى هذه الشاكلة كان جرير في مديحه وهجائه . فهو
يشيد بالأمويين وسياستهم وكل ما يصد رغبتهم . فهم قوم فضلهم الله
على الناس إذ اختارهم للخلافة . ويكرر وصفهم بالعدل ورد المظالم
لا يمل تكرار هذه النغمة في مدائحه .

ومن حين لحين يعرض لخصومهم فيصفهم بأنهم ضلوا السبيل
ويعددهم خارجين عن الدين . ويظل يشيد بما يصد رمن الأمويين
تجاه هؤلاء من سفك الدماء . وقد وضعته الحوادث موضع التقويض
من الأخطل . لأن قيسا قبيلة جرير وتغلب قبيلة الأخطل كانتا على
طرفي تقويض في السياسة . وكثيرا ما استل رجال القبيلتين السيوف
في معارك حربية ضارية .

وجرير أبرع في شعر الحرب من الأخطل . فهو قوى النفس

شجاع الهمة ، وله أبيات شعرية كثيرة في الحماسة ، ولا غرو فنفسه
كانت تعلو به إلى مشارف الغرسان والأبطال ، فهو يفخر بسيفه
فيقول (١) :

جرى الجنان لا أهال من السدى
إذا ما جعلت السيف من شماليا

وقد ظهر فيه هذا الشعور حين قال الحجاج له وللفرزدق
وهو في قصره بجزيرة البصرة : ائتيا في لباس آباءكما في الجاهلية
فليس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة ، وشاور جرير دهانة
بنى يربوع فقالوا له : ما لباس آباءنا إلا الحديد ، فليس جرير دغا
وتقلد سيفاً وأخفى رمحا وركب فرسا لعباد بن الحصين وأقبل نسي
أصعين فارساً من بني يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئة فقال جرير
في هذا (٢) :

ليست سلاحي والفرزدق لمبة
عليه وشاحا كثر وجلجل
أعدوا مع الحلى السلاب فلنمنا
جرير لكم بعمل وأنتم حلايلكم
وكثيرا ما كان يذكر أجداد قومه ، وكأنه يريد أن يشهد

(١) شرح الديوان : ٢١٠ .

(٢) الأغاني : ٢٨٢٢/٨ . دار الشعب ط ٢ .

بطولته التي يحسبها في نفسه • يقول (١) :

وَيَوْمَ بَنَى صِخْرَةً قَدْ لِحِقْنَا
وَوَدَدْنَا يَوْمَ ذِي نَجَافٍ كَلَابًا
وَيَوْمَ الْحَوْفِ زَانٍ • فَأَيْنَ تَسِيرُ
فَتَدَّعَى يَوْمَ ذَلِكَ أَوْ تُجَابِسُ

وكان شعره في المدح مزوجا بوصف الحرب وذكر السلاح والثأم
وقد غلب هذا الشعر الفروسية في وصف الخيل وهجماتها واعتصام
الفرسان بها وإثباتها • ويظل جرير مولعا بتصوير الفروسية وما تشيـره
حروب قومه مع التغلبيين •

وقد نظم قصيدة في هجاء الأخطل • أخذ يفاخر فيها بقومه
فقال (٢) :

وَنَعْرِفُ حَقَّ النَّازِلِينَ وَلَمْ تَسْرَلْ
فَوَارِسْنَا بِحُمُونِ قَاصِمَةِ السَّيْرِ
عَلَى مَقَاتِلٍ هُنَّ مَحْقِلٌ مَن جَسَنَى
وَتَسْمُ الْجَدَى وَالْمُنْجِيَا تَمِنُ الْكَسْرَ
أَلَا رَبَّ جَبَّارٍ وَطَنُ جِهَنَّمَ
صَرَحًا وَتَغَيَّبَ قَدْ حَوَّنَ إِلَى نَهَبِ

(١) شرح الديوان : ٤٣ •

(٢) شرح الديوان : ٨٢ •

ثم يهجو الأخطل ويميره بانتصار القيسيين على قومه فيقول (١) :

وقد أوردت قيسٌ عليك وخيـبٌ
فوارس هـد من الحياض التي تجبى
ستعلم ما يغنى الصليب إذا غـدت
كتائب قيس كالصنأة الجـرب

وكثيرا ما يعمير الأخطل وقومه بما يصيبهم من خذلان في الحروب
كأكبر سبة يمكن أن يلصقها به وقومه ، ولم يكن ليهترك معركة
(يوم البشر) التي دارت على الأخطل وقومه ، فكان النصر
لجريه ، وكانت الهزيمة للأخطل وقومه ، يقول واصفا تلك الواقعة (٢)

يكن دويل ، لا يوقأ الله دمه
ألا إنما ييكن من الذل دويل
جزعت ابن ذات القلس لما تداركت
من الحرب أنياب عليك وكلـ
فإنك والجحاق يوم تحضـ
أودت بذاك الكك والورد أعجل
سرى نحوكم ليل كأن نجوسـ
قناديل فيهن الذبال المفتـ
فما انشق ضو المصبح حتى تعرفوا
كراديس يهد يهن ورد محجـ

(١) المصدر نفسه : ٨٣ ، ٨٤ . { (شرح الديوان) .
(٢) المصدر نفسه : ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

وقد قتل الجحاف أولاد نسوة
يسوق ابن خَلاس بهن وعزَهـلُ
عقابُ المنايا تستدِيرُ طيهم
وشعثُ النواصي لُجُمن تَصَلَّـلُ
بدجلة إن كروا ققيسُ وراهم
صفوظا ٥ وإن راموا المخاضة أو حلوا
وما زالت القتلَى تنور دماهم
بدجلة حتى ما دجلة أعكـلُ
.....

لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم
ونحن لكم يوم القيامة أغـلـل

أما الفرزدق فصح تمصبه الشديد لآل البيت وتشجيعه لهم (١) إلا
أنه كان كثير المدح للأُمويين ٥ واعترف في مدحه لهم بحقهم في
الخلافة ٥ ولعل حبه للتكسب وخوفه من بطشهم حملاه على أن يظهر
في مدحه لهم خلاف ما يبطن ٥

ومع أنه لم يحارب ولم يخش أحداث الحرب ٥ وكان يخشى
الحجاج ويحاذر من جبروته في قوله: (٢)

أخافُ من الحجاج سَوْرَةَ مُخـدَر
ضواربَ بالأعناقِ منه خـواـدِرُ

(١) انظر مقدمة الديوان : ٥٥ ٥ ٦ ٥ دار بيروت ٥

(٢) الديوان : ٢٥١/١ ٥

إلا أنه لم يقصر في شعره عن وصف بطولة آباءه وأجداده
وكان قائدا في هجائه وهو يدافع عن قبيلته • وفي قصيدة له في
الهجاء نراه يتطرق إلى وصف الممارك التي دارت بين الحجاج وبين
جنود عبد الرحمن بن الأشعث (١) • والتي كانت الهزيمة في
ميدانها للحجاج حتى تغير الحال في آخر المعركة • يقول: (٢) واصفا
المعركة وشيدا بغروسة الحجاج وتأيد من الساء شأنه شأن أهل
بندر :

دعوا ودعا الحجاج والخيل بينهما
مدى النيل في سامي العجاجة أكدوا
إلى باعث الموتى ليُنزل نصره
فأنزل للحجاج نصرا • ———— فوزرا
ملائكة • من يجمع الله نصرهم
له يك أعلى في القتال وأصبرا
فلما رأى أهل النفاق سلاحهم
وسبيهم كانوا تماما منقرا
كأن صفيح الهند فوق رؤوسهم
مصاحب ليل لا يزالين منقرا
بأيدي رجال يمنع الله دينهم
بأصدق من أهل العراق وأصبرا
كأن على دير الجماجم منهم
حصائد أو أعجاز نخل نهمرا

(١) انظر الكامل لابن الأثير: ٤٦٢/٤ • بيروت •

(٢) الديوان : ٢٤١/١ • ٢٤٢ •

لَقِيْتُمْ معَ الْحِجَاجِ قِيَسًا أُعِزَّتْ
غِلَظًا عَلَى مَنْ كَانَ فِي الدِّينِ أَجْوَرًا
بِهِمْ يَوْمَ يَدْرَأُ يَدُ اللَّهِ نَصْرَهُ
وَسَوَّى مِنَ الْقَتْلِ الزَّكَّى الْمَعْوَرًا (١)
جَنُودًا دَعَا الْحِجَاجِ حِينَ أَعَانَهُ
بِهِمْ ، إِذَا دَعَا رَبُّ الْعِبَادِ لِيُنْصِرَا

* * *

وهكذا رأينا كيف كان شعر الحرب والغروسة عند هؤلاء الأقطاب
الثلاثة وسيلة لا غاية . ومع أن العصر امتلأ بالحروب والفتن إلا أنهم
اكتفوا بأبيات يصفون فيها هذه الحرب وتلك الفتن . ولم يأت عندهم
شعر حربي . في مطولات أو ملاحم . ولعل قلة حيلهم للسلاح
وقلة اشتهاهم بشعر الحرب والغروسة كشأن الشعراء الفرسان . ثم
التهاجى الذى حدث بينهم والذى شغلهم وقتًا طويلاً . لعل
هذا كله كان سبب تقصيرهم في شعر الحرب والغروسة . ولو أن
هؤلاء قد بذلوا من أنفسهم . ووفروا من وقتهم قدرًا كافياً لشعر
الحرب لأعطونا — لما لديهم من نزعة قبلية ودعوى عصبية — ملاحم
أو شبه ملاحم . ولما اكتفوا بتلك الأبيات التى يصفون فيها لمحات
من الحرب وأحداثها .

(١) الزكى : الآبار . المعور : من عورت الجحر إذا كسها
بالتراب حتى ينضب ماؤها .

خصائص شعر الحرب والفروسية عند شعراء المدح والهجاء :

(١) يلاحظ على شعر الحرب والفروسية عند هؤلاء الشعراء أنهم اتخذوه وسيلة لاغاية * فالشعر عندهم أداة للتكسب والاحتراف ووسيلة لعدم المعارضين المناوئين * وقد أدى ذلك إلى انصرافهم عن المهمة الأساسية لهذا الشعر * وأدى من ناحية أخرى إلى تشابه شخصياتهم الشعرية *

(٢) لعل عدم اعتياد هؤلاء الشعراء بالشجاعة والبطولة والفروسية كشأن الشعراء الفرسان ** لعل هذا هو الذي جعل شعرهم يخرج في هذا الفن دون شعر الخوارج * ومن النادر أن نجد في شعرهم تلبية حية للحرب تخلو من التكلف والبهاء *

(٣) والقصيدة التي يصفون فيها الحرب أو الفروسية لا تكاد تخالف القصيدة الجاهلية لا في الاستهلال^(١) ولا في تعدد القنن والأغراض * فالشاعر منهم يبدأ قصيدته بالفضل * ويأتى فيها بأكثر من غرض شعري * ويدور حول أكثر من معنى *

(٤) ولما كان هؤلاء الشعراء قد عاشوا في زمن سادت فيه النزعة القبلية والدعوى العصبية * وقد قام شعرهم في المدح والهجاء بإثارة هذه النزعة ** ولما كان كذلك رأينا شعرهم في الحرب والفروسية يصبح بتلك الصيغة *

(١) انظر مقدمة القصيدة المربعة في العصر الأموي * حسين عطوان
١٢ : دار المعارف ١٩٧٤ :

٥) ولا بد أن نذكر أن شعر الحرب عند هؤلاء كان يتم بقوة الجرس وصلابة العبارة ، وبالقوافي الرائعة الطنانة التي تتناسب والحرب ، وشيوع الأوصاف الحربية مثل وصف الجيوش بالجرأة والإقدام والبأس وحب القتال .. ووصف القائد والأمير بأنه ناصر الدين وحامي الإسلام ومفيد بالنصر من الله ، وبالعفو عند القدرة ووصف صورة المدد والجبن والخور والخزي والهوان والامتصاص وغير ذلك من الأوصاف المستغنية الذكر في أبياتهم في الحرب .



(الفصل الثانى)

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

* شعر الحرب الداخلية والفتوحات الخارجية *

يتناول الشعر هنا تلك الحروب والفتوحات التى حدثت فى
أشنتات الأمصار الإسلامية فى الدولة الأموية * أو حدثت بعيدة عنها
نتيجة للفتوحات الخارجية * كذلك التى قام بها يزيد بن المهلب
وأبو أيوب الأنصارى *

وقد صدق كثير من الشعراء فى وصف حروب بنى أمية وتصوير
معاركهم * ومدحهم بصفات الشجاعة والبطولة وسطة السلطان
وكان أحسن هؤلاء الشعراء وصفاً وأروعهم قولاً من خلص تلك المعامع
وكان من بين القائلين *

(١) الحروب الداخلية :

وقد شهدت الدولة الأموية حرباً عديدة مع الأحزاب التى
تعارضها * فكانت من ثم مهمة الشعراء أن يقولوا شعراً يمدحون
فيه جنود وقواد بنى أمية * ويذمون المتمردين من أعدائهم ويحلون
عليهم *

ومن الشعراء المخلصين لبنى أمية (كعب الأشقرى الأزدي)^(١)

(١) الأغاني : ١٤ / ٥١٥٠ * دار الشعب *

قد كان من الشعراء الفرسان * واحتفل في حروب بني أمية مالا
يحتمله غيره * وله في المهلب بن أبي صفرة ووصف حبه قصائد
كثيرة * وحين تغلب المهلب على الخوارج أرسل بكعب ليشرح
الحجاج بانتصاره على الأزارقة * فأنشد قصيدة حماسية كبيرة وصف
فيها الممارك والبطولات التي دارت فيها * يقول منها : (١)

يا خَصَّ إنِّي عَدَانِي عَنكَ الْمَفْرُ
وقد سَهَرْتُ فَأَذَى عَيْنِي الْمَهْرُ
لولا الْمَهْلَبُ مَازَرْنَا بِلَادَ هَمِّ
مَادَامَتِ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ
فَمَا يَجَاوِزُ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
قَدْ عَضَتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحِرُوا
خَبُّوا كَمِينَهُمْ بِالسَّيْفِ إِذْ نَزَلُوا
بَكَاءُ زُلُونٍ فَمَا عَزَّوْا وَمَانَصَرُوا
بَاتَتْ كَتَائِفُنَا تَزُولُ مَسَوَّةً
حول الْمَهْلَبِ حَتَّى نَسُورَ الْقَمَرُ
هَذَا كَ وَلَوْ أَخْزَايَا بَعْدَ مَا هُزِّيْنَا
وَحَالُ دُونِهِمُ الْأَنْهَارُ وَالْجُودُ

وهذا هو الشاعر عبد الله بن خارجة (الأعشى ربيعة) (٢) وقد
فاض شعره حماسة أموية * وقد خاطب الحجاج بعد حرب الجماجم

(١) الأغاني : ٥١٥١ / ١٤ - ٥١٥٣ .

(٢) انظر الأغاني : ٦٩٠٩ / ٢٠ .

(١) قال : " أصلح الله الأمير ، لا يراة من ذنب ، ولا ادعاه على الله في عصمة لأحد من المصريين ، قد والله اجتهدوا جميعا في قتالك ، فأبى الله إلا نصرنا ، وذلك أنهم جزعوا وصبرت ، وكفروا وشكروا ، وعفوت إذ قدرت ، فوسمهم عفو الله وعفوك فنجوا ، فلولوا ذلك لبادوا وهلكوا " .

وقد بلغ الحجاج أن الأعشى هذا قد رشى عبد الله بن الجارود فغضب عليه ، فقال الأعشى شعرا حماسيا يعتذر فيه للحجاج يقول فيه : (٢)

أبيت كأتى من حذار ابن يوسف
طريد دم ضاقت عليك المسالك
ولو غير حجاج أراد ظلالى
حمتنى من الضيم السيوف البواتك
وفتيان صدق من ربيعة قُصْرَة
إذا اختلفت يوم اللقاء النيازك
يحامون عن أحبابهم بسيوفهم
وأرباحهم والميم أمود حالك

أما الشاعر عبد الرحمن بن الحارث الهمداني (أعشى همدان) (٣) فقد تعصب للأمويين ، ويكنى شجاعة قتلاهم ، وسع

(١) الأغاني : ٦٩١٣/٢٠ .

(٢) الأغاني : ٦٩١٤/٢٠ .

(٣) الأغاني : ٢١١٣/٦ .

ذلك فلم يخل من لومهم وعتابهم حين وصف وقعة (عين الوردة) .
وقد نفر مع النافرين وشارك ابن الأشعث في حروب مع الحجاج حتى
تمكن الحجاج من أسره . وأخذ يذكره بما قاله ضده . إلا أن الشاعر
دافع عن نفسه فقال للحجاج بل أنا القاتل أيها الأمير : (١)

أبى الله إلا أن تهم نــسـورـه
ويطغى نار الفاسقين فتخسدا
ويُنزل ذلاً بالمعراق وأهليـه
كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وباليت الحجاج أن سـلَّ سيفه
علينا قولى جمعنا وتبـددا
وما زاحف الحجاج إلا رأيته
محسباً ملقى للحبوب مـعـودا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
ومزقهم عرق البلاد وشـردا
بما نكثوا من بيعة بعد بيعة
إذا ضمنتوها اليم خاسوا بها غدا
ولما دَلَقْنَا لابن يوسف ضلـة
وأبقر منا العارضان وأرعدا
فصار منا الحجاج دون صفوفنا
كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا

(١) الأظنى : ٢١٤٠/٦ .

بجند أمير المؤمنين وخيلهم
وسلطانه أسي مَعَانَا مؤسدا
ليهني أمير المؤمنين ظهوره
على أمة كانوا بغاة وحسدا
وجدنا بني مروان خير أمة
وأعظم هذا الخلق حلما وسودا
وخير قريش في قريش أروسة
وأكرمهم إلا النبي محمدا
إذا ما تدبرنا عواقب أمرنا
وجدنا أمير المؤمنين السددا
سيفليب قويا غالوا الله جهرة
وان كايديون كان أقسوى وأكيدا

* * *

(٢) الحروب الخارجية :

ولم يقف جهاد الأمويين عند حد مقاومة النواويز فحسب
بل كانت لهم فتوحات خارجية ، بلغت في عهدهم إلى حد الصين
وقد أحسنت جيوشهم الحرب في تلك الفتوحات ، وأظهرت فيها
كفاءة وسالة ، وسقط من أبطالهم في هذه الحروب كثير .

وقد قاد يزيد بن المهلب ومعه أولاده فتوحات الدولة في
بلاد فارس حتى بلغوا سمقند ، وقد شاركهم في هذه المعارك

الشاعر الفارسي (ثابت قطنة)^(١) وقد أبلى بلاءً حسناً في هذه
المعارك ، وكان يستنهض عزائم المقاتلين حين يبكي قتلاهم .

وحين قتل الفضل بن المهلب دخل على أخته هند والناس
حولها جلوس يعزونها ، فأنشد لها^(٢) :

يا هندُ كيف ينضب ياتُ يَكِينِي
وطائر في سوادِ الليل يُؤذِينِي
إنِّي تذكرت قتلى لو شهدتهم
في حومة الموت لم يَصَلُوا بها دوني
لأخبر في العيش إن لم أجن بعد هم
خبراً تبي بهم قَتلى فيشفوني

قالت له هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيت الحق ، وبما من
المنية بد ، وكم من ميتة ميت أشرف من حياة حي ، وليست المصيبة
في قتل من استشهد ذاباً عن دينه ، مطيعاً لربه ، وإنما المصيبة
فيمن قلت بصيرته ، وخيل ذكره بعد موته ، وأرجو ألا يكون الفضل
عند الله خاملاً . فيقال إنه ما عزي يومئذ بأحسن من كلامها^(٣) .

وقد وصف إحدى حروب الدولة في هذه البقاع ووصف فدائمية
المحاربين واستبسالهم فقال :^(٤)

-
- (١) الأغاني : ٥١٢٩/١٤ .
(٢) الأغاني : ٥١٤١/١٤ ، ٥١٤٢ .
(٣) الأغاني : ٥١٤٢/١٤ .
(٤) شعر الحرب في أدب العرب : ١٣١ .

فدت نفسى فوارس من تميم
غداة الروع فى هنك المقام
فلولا الله لئس له شريك
وضربى قونس الملك الهمام
إذا سمعت نساء بنى دثار
أمام الترك بادية الخندام

* * *

ومن الشعراء من اكتفى بذكر هذه الحروب فى معرض الموضوعات
الشعرية الأخرى . فهذا هو الأخطل يقول فى مدحه للحجاج
ابن يوسف (١) :

صنات فارس كل يوم تُصَطَفسى
يَعْلُونَهُنَّ وبالهـن مُهْـوَرُ

كذلك أجمع العرب حربا فى غزو شعور الريم (٢) ، ولم يقصر
الشعراء فى القول فى هذه الحروب ، فقد تهاها بها وتفاخروا
بالقائمين عليها ، وأخذوا يجدون ما كان للعرب فيها من بطولات
وأجساد .

فهذا هو الأخطل ينظم قصيدة فى مدح الوليد بن عبد الملك
لم يلبث أن يمدحه فيها بغزواته للريم التى اقتحم فيها عليهم الجبال

(١) الديوان : ١٦٥ .

(٢) انظر فتوح البلدان للبلازرى ص ١٧٢ ط الشركة العربية بصر
ط ١ سنة ١٩٠١ م .

وكم أشغل فيها من نار • وأثار من غار : (١)

وما بلغت خيل امرئ كان قبله
بحيث انتهت آثاره وحارته
وتضحى جبال الريم غبرا فيجأ بها
بما أشعلت غاراته وقائمه

وأمر المهنيين لا يجر يفرز بخيله بلاد الريم • ويقتحم بها
السيب النارية البعيدة • حيث تطرح أولادها وتجهض بها من
عدة ما يصيبها من الإعياء : (٢)

وفي كل عام منك للريم غزوة
بعيدة آثار السنايك والسروب
يَطْرَحْنَ بالشفر السخال كأنما
يُشَقِّقْنَ بالأشلاء أردية العصب
بنات غراي لم تُكَمِّلْ شهورها
تخلقلن من طول المغاوز والجذب
ولن لها يومين : يوم إقامته
ويوما تشكى القس من حذر الدوب

وقد أشار الشاعر (نابغة بنى شيان) (٣) إلى حروب العرب
الدائمة مع الريم • ففي مدحه للوليد بن عبد الملك نواه يصف حصار

(١) ديوان الأخطل : ٢٩٥ (٢) ديوان الأخطل : ١٨٦ • ١٨٧ •
(٣) الأغاني : ٢٥٤٦/٧ •

العرب للندن الرومية فيقول : (١)

أخزى (طرنده) منه وإبل يرد (٢)
وعسكر لم تعد العزل الجوى
ما زال (مسلمة) السيمون يحصرها
وركنها بشقال الصخر مقذوف
وقد أحاطت بها أبطال ذى لجب
كما أحاط برأس النخلة الليف
حتى علوا سورها من كل ناحية
وحان من كان فيها فهو ملهوف
فأهلها بين مقتول ومستلب
ومنهم موثق فى القيد مكتوف

* * *

وإنه لواضح حين ننظر بالنقد إلى هذا الشعر الذى قاله
الشعراء فى الحروب الخارجية أن أكثره أدنى منزلة من الناحية الفنية
من الشعر الذى قيل فى الفتن والحروب الداخلية مع الأحزاب
الأخرى ، ولعل الشعراء على عذر فى هذا ، فهم لم يشهدوا هذه
الحروب شهودهم غيرها مما أجادوا وصفه وذكر وقائعه ، على أن منهم
من أجاد وصف هذه الحروب وهو الشاعر ثابت قطنة ، ولعل حضوره
لهذه الحروب وشاهدته لها كان السبب فى ذلك .

(١) الديوان : ٥١ . طدار الكتب المصرية ١٩٣٢ م .

(٢) طرنده : بلدة فى بلاد الروم .

وهذا الشعر تغلب عليه ناحية الحماسة ، وهي نغمة تصف
الشعر في مجمله بأنه شعر حربي " وإن كان سلطان التاريخ قد طغى
على هذا الشعر أكثر من طغيان السلطان الديني .

xxxxxxxxxxxxxxxx

(الفصل الثالث)

xxxxxxxxxxxxxxxx

" الفروسية في شعر المعصيات القبلية "

xxxxxxxxxxxxxxxx

إذا كان الأمويون قد سلكوا في سياستهم مسلكتا يبعث المعصية
القبلية من مراقدها ، فلاشك أن كثيرا من القبائل كانت أشد تلهفا
إلى بعث تلك المعصية لالهي* إلا لتشفى أنفسها مما بها من غل
وحقد .

ولذا كان الأمويين قد استنصروا بالمعصية على خصومهم ، فإنهم
مالبتوا إلا قليلا حتى استنصروها بعض الأمويين على بعض* مما
أدى إلى استعمال تلك المعصية في البوادي والحوضر ، وتفاقم
خطرها ، وتجاوز حدود المعصية في التقريب والإيثار أو الإبعاد
والحيان إلى حمل السيوف وسفك الدماء .

وفي هذا المجتمع اشتملت المهاداة بين شعراء القبائل
المتعادية ، واستمرت النقائص ، وتكاثر الشعراء بالمفاخرات فأعادوا
بقومهم ومناقبهم من فروسية بأس ونجدة وغر وغير ذلك من ألوان
الفخر ، بل جاوزا ذلك كله حتى سجلوا الوقائع القبلية .

(من شعراء الغروسة القبلية)

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١) النابتة الشيباني

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

شاعربدوى (١) من شعراء الدولة الأموية • وكان يفد إلى
خلفاء بني أمية فيمدحهم ويجزلون له المعطاء • وكان نصرانيًا
يخلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يخلف بها النصارى • ولما
هم عبد الملك بخلق أخيه عبد العزيز وتولية ابنه الوليد العهد كان
النابتة منقطعًا إلى عبد الملك مدًا حا له •

وقد تغالى في مدحه ليزيد بن عبد الملك • ووجد مرة إلى
هشام بن عبد الملك فلما رآه قال له : أأنت القاتل :
هشام والوليد وكل نفس •• تريد لك الغناء لك الغناء

أخرجوه عنى ! والله لا يرزؤنى شيط أبدا وحريره •

أما فخره بحماسة قويه • فهو أطوع له من التشدح بحماسة
وقرسة بني أمية • وهو الدليل الواضح على أن غروسيته كانت تتمثل
أكثر ما تتمثل في نزعة القبلية •

يقول الأصبهاني (٢) : غنى أبوكامل مولى الوليد بن زيـد
يوما بحضرة الوليد :

لأمدح الكأمن من أعليها •• واهج قوما قتلونا بالعطش

(١) رجعتنا في هذه الترجمة إلى الأظنى : ٢٥٤٦/٧ •

(٢) الأظنى : ٢٥٥٠/٧ •

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل : نابغة بنى شيان ، فأمر
بإحضاره فأحضره ، فاستنشد القصيدة فأنشده إياها ، وظن أن فيها
مدحا له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم : فقال له الوليد : لو سعد
جدك لكانت مدحها فيما لا نبي شيان ، ولسنا نخليك على ذلك
من حظ ، ووصله وانصرف .

ومن هذه القصيدة :

بنو شيان حولي مصَّب ٠٠ منهم غلبٌ وليست بها القيسر
وردوا المجد وكانوا أهله ٠٠ فرووا والجود طاف لم ينس
وترى الجرد لدى أبياتهم ٠٠ أرباب بين صلصال وجش
ليس في الأموال منها هجة ٠٠ وضح البلقى ولا عيب السبر
فيها يحوون أموال العدا ٠٠ ويصيدون عليها كل وحش
دعيت أكفأها من طعنهم ٠٠ بالثروة بينات والخيل النجش
تسهل الخطى من أعدائنا ٠٠ ثم تغرى الهام إن لم نغش
إذا العيس من الحل غدت ٠٠ وهى فى أعينها مثل العمش
حسرا لأوما لقيت ٠٠ من سحاب جاد عنها لم يرش
ذاك قولى وثناى وهى ٠٠ أهل ودى خالسا فى غير غش
فسلوا شيان إن فارقتهم ٠٠ يوم يمشون إلى قبرى بنعش
هل قفينا مخربا فى قفينا ٠٠ أو جزينا جازيا فحشا بفحش

وهكذا تجلت العصبية القبلية فى شعر هذا الشاعر ، وقد
عبر عنها بنماذج رائعة من القروسية ، وأرى شعره أقوى دليل على

شعر الفروسية الذي سكب على قومه وقبيلته .

(٢) الشاعر القطامي (١)

وهناك شاعر آخر يعد شعره مثالا للفروسية القبلية وهو الشاعر
عمر بن شعيب التغلبي . وهو يعد مثالا واضحا لشعراء الفروسية
القبلية . وشعره أصبح دليلا على شعر الحرب الذي سكب صاحبه
على قومه . فلم يجعل لغيرهم نصيبا في شرفه . وقد ذهب بعمود
هذا الضرب من الشعر الأموي (٢) .

وهو شاعر خامل الذكر . كان نصرانيا ثم أسلم . يغلب عليه
لقب القطامي . قال عبد الملك بن مروان للأخطل : يا أخطل
تحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب ؟ قال اللهم لا ، إلا شعرا
منا تفدى القناع . خامل الذكر . حديث السن . إن يكن فسي
أحد خير فسيكون فيه . ولوددت أنى سبقته إلى قوله :
يقتلنا بحديث ليس يعلمه . . . من يتقين ولا مكوثه ببيدي
فهن يتقذن من قول يصين به . . . مواقع الماء من ذي الفلة الصادي

وهو أول من لقب صريح الغواني بقوله :

صريح غوان راقهن ورقنه . . . لدن شب حتى شاب سود الذواشب

(١) رجعنا في هذه الترجمة إلى الأغاني : ٢٨ / ٩٤٥٧ .

(٢) شعر الحرب في أدب العرب : ١١١ .

وقد جرت حروب بين قوم الشاعر وبين القيسيين * وشهد
كثيرا من هذه الحروب * ولعل هذا هو السبب في وفرة شعره
القبلي * ولعل السبب في وفرة قسط كبير من شعره الحربي فيما
قال من شعر *

وخير ما يمثل ذلك قصيدته العينية التي قالها في مدح
زفر بن الحارث بعد أن فك أسره وخلق سبيله * فقد أشاد في هذه
القصيدة ببني قومه بطولة وشجاعة وأسا في الحروب * ولم يستطع
أن يخف تلك المنصبة التي تسرى في دمه فقال : (١)

فأصبح سيلٌ ذلك قد ترقى * إلى من كان منزله يظا
فلا تتمد دماء بني نزار * ولا تغر عيونك يا قضا

وقد ابتلى بالحرب بين قومه بني تغلب وبين قيس عجلان
ولولا ذلك لما عانى الأسر * ولما وقع أسيرا بيد زفر بن الحارث * ولما
احتل ذكر الحرب والسلاح والغروسة شطرا كبيرا من شعره *

ومع توبيه بزفر وصنيعه معه إلا أنه - لتأصل روح القبليّة
في نفسه ولصدق بلائه وفروسيته - بعث قصيدة لزفر أخذ يمن عليه
في ثناياها * ويظهر زهوه بقبيلته وفروسانها * يقول : (٢)

من مبلغ زفر القيس يد حنّيه
من القطامي قولا غير إفساد

(١) الأغاني : ٢٨ / ٦٤٨٢ . (٢) الأغاني : ٢٨ / ٦٤٨٥ . ٨٦ .

إنى وإن كان قومي ليس بينهم
وبين قومك إلا ضربة الهـمـادى
مُثْنٍ عليك بما اشتبهت معرفتى
وقد تعرض منى مقتل همـادى
فلن أُنْثِيكَ بالنعمة مَفْتَنَةً
ولن أبذل إحسانا بل إفساد
فلن هجوُك ما تبتُّمُكا ورسـى
وإن مدحت فقد أحسنت إفسادى
ومانسيت مقام الورد تحبسه
بينى وبين خفيف الغابة الفـادى
لولا كتاب من صوِّ نـصـول بها
أُرْدِيَتْ يا خير من يندو له النـادى
إن لا ترى العين إلا كل مَلَهَبَةٍ
وسابح مثل سيد الرّوضة العـادى
إذا الفوارس من قيس بشكتهـم
حول شهود وما قيس بشهـاد
إن يعتريك رجال يسألون دـمـى
ولو أطمعتهم أبكىت عـوادى
فقد حصيتهم والحوث مـقبـلة
لا بل قد حث زنادا غير صـلاد

(الباب الثالث)

XXXXXXXXXXXX

" شعر الحرب والفروسية في أدب الأحزاب المعارضة لبني أمية "

الفصل الأول : شعر الحرب والفروسية ضد الخوارج :

من يتتبع نفاة شعراء الخوارج ، ويتعرف على حياتهم العامة والخاصة يدرك للوهلة الأولى أنهم لم يعيشوا حياة هادئة مستقرة ، وهم من جهة لم يكن يعينهم من هذا الأمر شيء ، فهم دعاة حرب وطلاب موت ليس غير ، لأن حياتهم سلسلة من الحروب المتواصلة ، تراهم مرة متجمعين منتصرين ، ومرة مشتتين منهزمين ولم يعرفوا في حال الهزيمة صفارا ولا ذلا أو استسلاما .

وقد طبعت تلك المعيشة شعرهم بطابع خاص يميزه عن شعر الفرق السياسية الأخرى ، فهو شعر ثوار ، هم أمراء يفتنون الحرب من غيرهم ، ومن ثم كان شعرهم في جملة حاسيا ، وهي حيازة لاتحركها المعصيات القديمة ، وإنما تحركها عقيدتهم التي رأوا أن يجاهدوا في سبيلها مخلصين ، أو أن يموتوا غير آبهين بالحياة الدنيا .

فالموت أمنية كل واحد منهم ، وهم يستعملونه ابتغاء ثواب الله ورضوانه . يقول قطري بن العجاج (١) :

(١) شعر الخوارج : ١١١ .

إلى كم تفارنى السيوف ولا أرى . . . مفاراتها تدعو إلى حمايا
أفارع عن دار الخلود ولا أرى . . . بقا على حال لمن ليس باقيا
ولو قرب الموت القراع لقد أنسى . . . لموتى أن يدنو لطول قراعي

وقد اتخذ الخواج من عملية التحكم ذريعة لإعلان الثورة
السلحة على الإمام على . وظل صوت التحكم يتردد في شعير
شعراهم . فكانوا يتخذون به حاس جنودهم . ويلهبون عواطفهم
في كل موقعة وعند كل لقاء . حتى أصبح شعر الحرب تنمة طبيعية
لما عرفوا به من شرابة وخروج .

ومع أن الخواج كانوا أوضح في شعر الحرب والغروسة من
الأميين . إلا أننا لانستطيع الزم بأنهم تناولوا مطولات محددة
في الحرب واضحة الأهداف محددة المعالم . وكل ما يمكن قوله
عنهم أن غزارة الشعر الحربي عندهم تلفت النظر . وسأحاول تلص
أبرز موضوعات شعر الحرب والغروسة عندهم . وهي كالآتي :

(١) وصف الحرب والحنين إليها :

شعر الحرب والغروسة يعد لونا من ألوان الوصف . بل إن
الوصف هو الفن الأول الذي يندرج تحته شطر لا بأس به من شعر
الحرب والغروسة . وقد وصف شعرا الخواج الممارك وتحدثوا
عن نتائجها . وتناولوا وصف جنود الخواج كجاعة قتال وأبطال
نزال .

ويكثر الحديث عن جماعة الخوارج في مجال وصف الحرب
فالخوارج قم مرابطون ، تراهم في هجومهم صفا واحدا كالبنين
المرصوص ، وأجل وصف لثباتهم عند اللقاء قول مرداس بن أدية
فيهم (١) :

فلما إذا جَمَّتْ جموع عدونا
وجاءوا إلينا مثل طامة البحر
نكف إذا جاشت إلينا بحورهم
ولا يهابيب نحيده عن البُـسْـتر
ولكننا نلقى القنا بنحورنا
بالحام نلقى كلَّ أبيض ذي أثر
إذا جشأت نفس الجبان وهللت
صبرنا ولو كان القيام على الجمر

ويصف الشاعر عمرو بن الحصين معركة " قديد " ، التي
تقاتل فيها الخوارج والحجازيون ، وقد شهد الشاعر هذه الموقعة
ولذلك خي وصفها في مطولة بارعة تفيض بالمعاني الجميلة فـي
وصف الغروسية ، وقد صور فيها شجاعة الخوارج وتقواهم فقال (٢) :

متأوهين كأن في أجوافهم
نارا تسمرها أكف حواطب
تلقاهم فتراهم من راكم
أو ساجد متضرع أو ناحب

(١) شعر الخوارج : ٥١ ، ٥٢ ، (٢) المصدر نفسه : ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

ومبرئين من المعاييب أحرزوا
خصل المكابم أنقيا أطايب
متسيلي خلق الحديد كأنهم
أسد على لحق البطون سلاهب
حتى وردن حياض مكة قطبًا
يحكين واردة اليمام القارب
في كل منترك لها من هامهم
فلسق وأيدٍ علقت بمناكب
سائل بنوم قد يد عن وقعاتها
تخبرك عن وقعاتها بمعجائب

ولكم عجبت لهؤلاء كيف كانوا يحنون إلى الحرب • وكانت
تنازعهم تلك النزعة وهم بين جد وأن السجون • فهذا هو معاذ بن
جوين بن حصين • خاض معركة النخيلة • وسجن في عهد المنيرة
فأرسل إليهم من محبته حين هم المنيرة بنفي الخوارج من الكوفة
يقول (١) :

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ • • • • • شري نفسه لله أن يترحلا
أقمتم يدار الخاطئين جهالة • • • • • وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا
فشدوا على القوم العداة فأنسا • • • • • إقامتكم للذبح رأيا مضللا
فيا ليتني فيكم على ظهر سابح • • • • • شديد القصيرى دارط غير أعزلا

(١) شعر الخوارج : ٤٥ • ٤٦ •

وباليتنى فيكم أعادى عدوكم * فيسقينى كأس المنية أولا
مشيحاً ينصل السيف فى حَس الوغى * يرى الصبر فى بعض المواطن أمثلا
ولو أننى فيكم وقد قصدوا لكم * أثرت إذن بين الفريقين قسطلا
فيارب جمع قد فللت وغارقر * شهدنا وقرن قد تركت مجدلا

ووصف الحرب لا يقتصر على وصف أحداثها وإنما هناك وصف
للأسلحة التى لا يمكن استغنائهم عنها فى تهيئة أساليب النصر * ولعدة
أهمية الخيل وما يلعبه من دور فى المعركة نجد هنا تحظى بنصيب وانسر
من اهتمام شعرائهم * فتحدثوا عن أصالتها وقوتها * كما تحدثوا
عن اهتمامهم الزائد بها * ووصفوا أيضا أسلحة الحرب * فجاء فى
شعرهم وصف للسيف بالحدة والمضاه * وعبروا عن ذلك بالفاظ مختلفة
الأشكال متحدة المعانى * كما وصفوا الريح والدمع والغفر والسنور *
وغير ذلك *

وأروع من ذلك كله أنهم أدركوا أن المعنويات قد تكون عرضة
للضعف * فعمدوا إلى هذه القوى يستثيرونها * ويشحذون بها عزائم
الرجال * وكان أكثر شعرهم يدور حول طلب الفوز بالشهادة * كى
يكفروا عن ذنوبهم التى اقترفوها فى حياتهم *

(٢) الإشادة بالأبطال :

~~~~~

يعد مديح الأبطال من القادة والأمراء والفرسان الذين قادوا  
جيوش الجهاد من أكثر موضوعات شعر الحرب والغزوية \* لأن كثيرًا



... من شعر المديح كان الشاعر يصور فيه بطولة المدوح ، ويشيد  
بجهاده ، وينوه بانتصاراته على أعدائه ، وقد فاضت مدائح الخوارج  
بمعاني الشجاعة والحرمة والمغفرة والعدل والإقدام والإيثار .. وكل هذه  
من لوازم الحرب والغزوة .

ومن طريف ما يروى في ذلك ما قاله شاعر الخوارج عيسى بن قاتك  
في انتصار فئة قليلة من الخوارج على جيش جرار لعبد الله بن مسعود  
الأنصاري ، مرجعاً السبب في ذلك إلى قوة إيمانهم وتقواهم . يقول (١) :

|                           |    |                                   |
|---------------------------|----|-----------------------------------|
| فلما أصبحوا صلوا وقاموا   | •• | إلى الجُزُرِ المتناقِ مُسَوِّمينا |
| فلما استجمعوا حللوا عليهم | •• | فظلّ ذوو الجمائل يقتلوننا         |
| بقية يومهم حتى أتاهم      | •• | سوادُ الليل فيه يراوغوننا         |
| يقول بصيرهم لما رآهم      | •• | بأن القوم ولوا هاهننا             |
| أألفا مؤمن فيما زعمتم     | •• | ويهزمهم بآسك أروعنا               |
| كذبت لميس ذاك كما زعمتم   | •• | ولكن الخوارج مؤمنوننا             |
| هم الفئة القليلة غير شك   | •• | على الفئة الكثيرة ينصروننا        |

ومن هذا الوصف يتضح أن صورة البطل عند الخوارج ذات صلة  
بمعتقداتهم ، فهم لا يمحرون اهتماماً لحسب البطل أو نسبه ، بل  
يركزون على شجاعته وقدرته القتالية واستماتته في طلب الشهادة .

---

(١) شعر الخوارج : ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) الفخر بالبطولة والفروسية :

كثير من شعراء الخواج افتخروا ببطولته وفروسيته وشجاعته وبأسه  
في الحرب ، كما يفخر بها يذيقه لأعدائه من ويلات وهزائم . ومن  
طريف ما يروى في ذلك ما قاله الطرباح بن حكيم متنبيا أن يحين أجله  
مجاهدا في زمره الخواج . يقول (١) :

أذا العرش إن خانت وفاتي فلا تكن . . . على شرجع يعلى بخضر المطارف  
ولكن أحن يويى سعيداً بعصبة . . . يصابون في فجٍّ من الأرض خائف  
عائب من شتى يؤلف بينهم . . . هدى الله نزالون عند المواقف  
فوارس من شيمان ألف بينهم . . . تقى الله نزالون عند التراحف  
فأقتل قعصاً ثم يويى بأعظمى . . . كصعك الخلا بين الرياح المواقف

وشعر قطري صدى لكل خارجي مجاهد متعبد ، قلبه قد  
امتلكه الحرب ، وشرف الموت في الممارك أعز عنده وأبقى . يصور  
شجاعته وبأسه فيقول (٢) :

لا يركنن أحد إلى الإحجام . . . يوم الوغى متخوفا لحمام  
فلقد أرايتي للرياح دريشة . . . من عن يميني مرة وأمامي  
حتى خضبت بها تحد من دمي . . . أكثاف سرجي أو غان لجامي  
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب . . . جدع البصيرة قارح الإقدام  
متعضا للموت أضرب معلما . . . بهم الحروب مشهرا الأعلام  
أدعو الكفاة إلى النزال ولا أرى . . . نحر الكريم على القنا بحرام

(١) المصدر نفسه : ٢٣٨ . (٢) شعر الخواج : ١١٢ .

(٤) الحث على الجهاد :

كثيرا ما يفرغ الخوايج إلى ذكريات قتلاهم فيشيرون أحقادهم  
وكان قتلى " النهروان " سبيلا دائما إلى ايقاظهم إذا هدأت ثوراتهم  
أو حروبهم ، وقد باعوا أنفسهم لله واشتروا بتقواهم جنات النعيم فساهم  
الناس " الصراة " .

ولقطري بن الفجاءة قصيدة في الحث على الحرب يقول فيها (١) :

أقول لها وقد طارت شمعا . من الأبطال ويحك لن تراعى  
فإنك لو سألت بقا . على الأجل الذي لك لم تطاهى  
فصبرا في مجال الموت صبرا . فما نيل الخلود بمستطاع  
ولا ثوب البقا . بثوب عزر . فيطوى عن أخى الخنع السراع  
سبيل الموت غاية كل حسى . فداعيه لأهل الأرض داعى  
ومن لا يُقْبَط يسأم . وتسلفه المنون إلى انقطاع  
وبالمرء خير في حياة . إذا ماعد من سقط المشاع

وقد حث شاعرهم حيان بن ظبيان السلمي على طلب الثأر من  
الظالمين . فقال (٢) :

خليلي ما بى من عزا . ولا صبر . ولا إرادة بعد المصابين بالنهر  
سوى تهضات في كتاب جملة . إلى الله ماعدو وفي اللما تغرى

(١) شعر الخوايج : ١٠٨ ، ١٠٩ . (٢) شعر الخوايج : ٤٤ .

وقد ارتجز زعيمهم " عبدالله بن وهب الراشبي " يوم النهروان  
شعرا طالب فيه بالتأثر . فقال (١) :

أنا ابن وهب الراشبي الفار  
أضرب في القوم لأخذ الثمار  
حتى تنزل دولة الأعمش  
ويرجع الحق إلى الأخيمش

(٥) بكاء الأبطال :

لقد كثر القتل في الخوارج بسبب كثرة حبسهم ، حتى أن المرائي  
التي جاءت في شعر شعرائهم كانت كلها بمناسبة الاستشهاد فـنسى  
مبادئ الجهاد ، اللهم إلا أبياتا قليلة كانت في رثاء قديد عزيم  
أو مرائي النساء لذويهن في بكاء ونحيب وذرف دموع .

وقد رثى شاعر الإباضية عمرو بن الحصين أبا حمزة وغيره من  
الفرات . ومن يقرأ هذه المراثية الطويلة يكاد ينسى أنه في موضع  
رثاء ، لأن الحديث حديث بطولات وبآثر . فهو يصفهم بالثبات فـنسى  
حومة الوغى . ويتخذ أبا حمزة وصحبه نموذجا حيا للخوارج المثاليين  
الذين يخوضون المعارك ويتركون الهوى ، غدهم الشهامة والسوة ،  
يخوضون غمرات القتال دونها وجل أو فزع . وهكذا يكون الحديث  
كله تناء على من ماتوا .

(١) شعر الخوارج : ٣١ ، ٣٢ .

يقول فيها (١) :

- في فتية صبروا نفوسهم
- متأهبون لكل صالحة
- كم من أخ لك قد فجعت به
- والمصطفى بالحرب يسعها
- لا شيء يلقاه أسرا له
- والخائف الغمرا تخطر في
- للمشقة والقنا السمر
- ناهون من لاقوا عن الفكر
- قوام ليلته إلى الفجر
- بنجارها في فتية سمر
- من طعنة في ثغره النحر
- وسط الأعادي أيما خطر

(٦) التهكم بالأعداء :

وقد تمثل هذا في فرح الشاعر عمران بن حطان بانخزال  
الحجاج بن يوسف حين اعتصم بالحصن حافظ من غزاة الحرومية  
التي دخلت عليه الكوفة . يقول عمران متهمًا بالحجاج وكان قد لج  
في طلبه (٢) :

- أسد على وفي الحروب نعمة
- هلاجزت إلى غزاة في الوغى
- صدت غزاة قلبه بغوارس
- ألقى السلاح وخذوشا حتى مضى
- وبدا تجفل من صغير الصافر
- بل كان قلبك في جناح طافر
- تركت منابره كأس الدابر
- واعد لمنزلة الجبان الكافر

خصائص شعر الحرب عند الخواجا :

(١) تلك هي أهم موضوعات شعر الحرب والغزوية . والذي

(١) شعر الخواجا : ٢٢٤ . (٢) شعر الخواجا : ١٦٦ ، ١٦٧ .

يلفت النظر في شعر الخواج في الحرب وفرة الأرجاز فيه ، والستى يفهم منها أنها كانت تشد في ميادين القتال تشجيعا للرجال على الصبر والثبات أو كوعيد وتهديد للأعداء .

( ٢ ) وما نلاحظه على هذا الشعر أن هؤلاء الشعراء لولم يفهم القتال ، ولولم تعرف الحرب على أشعارهم ، ولولم يعيشوا تلك الحياة القلقة المضطربة التي اضطهدوا فيها في كل صقع .. لولا هذا كله لخج شعرهم في الحرب وكأنه مدسة في هذا الفن ، ولكن لهم قصب السبق والريادة في هذا السبيل ، ذلك لأن كثيرين من أصحاب هذا الشعر كانوا من زعماء المذهب الخارجي ، فجاء من ثم شعرهم خلاصة تجربة ذاتية حية ، بعيدا عن التكلف والرياء ، يخاطب المشاعر والوجدان ، بالكلمات المؤثرة والشعارات البشيرة .

( ٣ ) ولعل الظاهرة الهامة التي تطفئ على شعر الحرب عند الخواج أن الروح الدينية تتمثل فيه لدرجة تجعل الشاعر يتخلى عن عصبية القبلية ، فهو ينتسب للإسلام دون بكر أو تغلب .. وإن كان قد وجدت عندهم عصبية فإنها فنت فنا ، تاما في عقيدتهم الدينية .

( ٤ ) وقد اختلفت قصائد الخواج في الحرب عن قصائد الأمويين في الأغراض ، فهي - أي قصيدة الخواج - تدور حول معنى واحد ، وغرض واحد ، واختلفت كذلك في المطالع التقليدي فالأمويون يستهلون قصائد هم بالفضل ، أما عند الخواج فيسندون أن تجد هذا .

(٥) ويلاحظ أيضا ، أن قصائد الخواج كانت في معظمها مقطوعات قصيرة ، وقد تكون في صورة بيتين أو ثلاثة أو أربعة . وقد خرج عن هذا الشاعر الخارجي عرو بن الحصين وخاصة في قصيدته التي رثى فيها أبا حمزة وغيره من الشراة . فقد تجاوزت هذه القصيدة الخمسين بيتا في أسلوب قصص يتميز بدقة الوصف وتكرار المعانسي واستقصاء الموضوع وقد علل الأستاذ أحمد الشايب هذا بأن عـ عـ كان فارسا متأصلا (١) . ويمكن أن نضيف إلى ما قاله أن الشاعر ربما تأثر بما في القرآن الكريم من معان وقصص . إذ كان يتلوه أناه الليل وأطراف النهار .

(٦) أما فيما يخص الصياغة اللفظية فإن شعريهم يتميز بالسهولة والدقة ، وقد جاء صريح اللفظ ، لأنهم لم يكن يعنيههم إبراز براعتهم اللغوية ، وكل الذي يعنيههم أنهم أرادوا النفوذ إلى قلب من يخالطون دونما حواجز تحول بينهم وبينهم .

(٧) وقد تأثروا بلغة القرآن الكريم وأسلوبه ، وظهور التضمين عند كثير من شعرائهم . كقول عيسى بن فاتك :

هم الفئة القليلة غير شك . . . على الفئة الكثيرة ينصروننا

فهو تضمين لقول الله تعالى : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين " (٢) .

(١) انظر تاريخ الشعر السياسي : ١٧٣ . ط النهضة المصرية ١٩٦٦ م .  
(٢) سورة البقرة ٢٤٩ .

وقول الطبري بن حكيم :

يوم لا ينفع المخول ذا الشر . . . . . وة خلانسه ولا ولداه  
يوم يؤتى به وخصاه وسط . . . . . الجن والإنس رجلاه ويداه

تضمن لقوله تعالى : " يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى  
الله بقلب سليم " (١) . وقوله : " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم  
وأرجلهم بما كانوا يعملون " (٢) .

وخلاصة القول أن شعر الحرب والفوضىعة عند الخوارج كان ثورة  
غالية العناد جامحة القيادة . ثورة تستبيح دم من لا يؤمن بها .

\*\*\*\*\*

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ . ٨٩ .  
(٢) سورة النور : ٢٤ .



\* من شعراء الخـواج \*

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

( عِـرَـانُ بـنِ حِـطَّـان ) (١)

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

هو عمران بن حطان بن ظبيان بن كؤذان بن عمرو بن الحارث  
وهو بصري الأصل \* وشاعر فصيح من شعراء الخواج ودعاتهم \* وقد  
أدرك صدرا من الصحابة زروى عنهم \* وروى عنه أصحاب الحديث \*

وكان قبل أن يفتن بالمذهب الخارجي مشتهرا بطلب العلم  
والحديث \* لكنه لم يلبث أن وقع في أسراينة عم له تسمى جمرة \* قبل  
أنه حين رآها أخذ بجمالها وأحبها \* وكانت خارجية \* فسمى من ثم  
ليردّها عن مذهبها \* لكنها لم تلبث أن نجحت في تحويله إلى مذهب  
الخـواج \*

ويقال إن جمرة كانت زوجا لرجل اسمه سويد بن منجوف \* وكانت  
خارجية فسمعت بعمران وعبادته ونسكه فأرسلت إليه تطلب أن يخلصها  
من زوجها لتتزوج من عمران لأن رأيها رأيها ودِينها دينه \* فأقبل عمران  
وسعه نفر من الخواج على سويد وكلموه في أمرها فطلقها وتزوجهم  
عمران \* وقيل لسويد : أطلقت جمرة خوفا من الخواج ؟ فقال :  
لا \* ولكني لا أحب أن يكون عندي من يكرهني (٢) \*

وقد أثر فيه المذهب الخارجي حتى اشتهر به \* وأخذ يشهد

(١) اعتمدنا في ترجمته على الأغاني : ٦٨٢٥/١٩ \* الشعب \*

(٢) شعر الخواج د \* احسان عباس : ١٩ \*

بكل من هو خارجي • وقد مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب • يقول : (١)

لله در المرادى الذى سَفَكَتْ • كَفَاهُ مَهْجَةٌ شَرَّ الْخَلْقِ إِنْسَانًا  
أَمْسَى عَشِيَّةً غَفَاءً بِضَوْبَتِهِ • مَا جَنَاءُ مِنَ الْآثَامِ عِرَانًا  
يَاضِيَةٌ مِنْ عَقْرِ مَا أَرَادَ بِهَا • إِلَّا لِيَهْلِكَ مَنْ ذَى الْعَرْشِ ضَوَانًا  
إِنِّ لَأَذْكُرُهُ حِينَئِذٍ فَأَحْسِبُهُ • أَوْفَى الْبَرَةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا

وحين اعتنق مذهب الشراة • واعتبر به بأنه خارجي طلبه  
الحجاج بن يوسف وأخذ يكتب في شأنه إلى عاله وإلى عبد الملك • إلا أن  
عمران هرب • وظل يتنقل في أحياء العرب •

يقول ميمبراً عن تنقله بين القبائل (٢) :

نَزَلْنَا فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ • وَفِي عِلٍّ وَعَامِرٍ عَوْنًا  
وَفِي لَحْمٍ وَفِي أَدْنَى بَنِي عَصِيٍّ • وَفِي بَكْرِ وَحَنٍّ بَنِي الْعَدَانِ

ولما دخل شبيب الشفري وزوجته غزالة الحورية (٣) على الحجاج  
بالكوفة • هلع الحجاج وتحصن في قصره وأغلقه عليه • فكتب إليه عمران  
ينحس عليه جبينه من غزالة ولجّه في طلبه إياه (٤) :

أَسَدٌ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نَعَامٌ • يَدَاؤُ تَجْفُلُ مِنْ صُلْحِ الصَّافِرِ  
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَفَى • بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ  
صَدَعَتْ غَزَاةٌ قَلْبَهُ بِغُفْوَارِي • تَرَكْتَ مَنَابِرَهُ كَأَنَّ الدَّاهِرِ

(١) شعر الخواص : ١٤٧ • (٢) شعر الخواص : ١٦٠ •

(٣) الحورية : فرقة من الخواص • نسبت إلى حوراء • لأن هذا الموضع

كان أول اجتماعهم به • (٤) شعر الخواص : ١٦٦ •

ولعمري أن أشعار كثيرة ، وهو فيها يصدر عن حب عميق لمذهب الخوارج ، وقد اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان ، فقال لهم : أبقى أحد أشعر منكم ؟ قالوا : لا ، فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بقي من هو أشعر منهم ، قال : ومن هو ؟ قال عمران بن حطان ، قال : وكيف صار أشعر منهم ؟ قال : لأنه قال وهو صادق ففارقهم ، فكيف لو كذب كما كذبوا (١) .

وقد شهد الفرزدق له بجودة شعره فقال (٢) : لقد أحسن بنا ابن حطان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ، ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا ، يعني لجودة شعره .

وقد خلف حروباً كثيرة في سبيل المذهب الخارجي ، إلا أن عمر قد طال لدرجة أضعفته وأقعدته عن الحرب وحضورها ، فاقصر على الدعوة والتحريض بلسانه ، وقد ثارت ثورة بالغة حين قتل أبو بلال مرداس ، فأخذ يرثيه بشعر تضمن التفكير في حبل السلاح ، يقول (٣) :

لقد زاد الحياة إلّى بغضاً . . . وحباً للخروج أبهـلال  
ومروءة بمعدن سقياً ورقياً . . . لمروءة ذي الفضائل والمعالي  
أخاذراً أن أموت على فراعى . . . وأرجوا الموت تحت ذرى المعالي  
ولو أنى علمت بأن حتفىسى . . . كحتفى أبى بلال لم أبـال  
ضمن يك همة الدنيا فأنسى . . . لها والله ربّ البهت قالسى

(١) الأغانى : ٦٨٨٥/١٩ (٢) الأغانى : ٦٨٨٧/١٩ .

(٣) شعر الخوارج : ١٤٢ ، ١٤٣ .

وعمران يخشى أن يموت على فراشة • وكثيرا ما كان يحسب  
لغيره الخروج • بل كثيرا ما كان يفرى رفاقه بالحرب • وهو بهذا كله  
يزدري الحياة ويزهده فيها • لأنه لا يحتمل ما فيها من أذى ومكروه ولذلك  
ردد في شعره أن الموت لا مفر منه لكائن • فالكل قان حتى الموت نفسه (١)  
لا يهجز الموت شي • دون خالقه • والموت فان اذا ما ناله الأجل  
وكل كرب أمام الموت متفزع • للموت • والموت فيما بعده جلل

وتتبدى في هذا الشعر فكرة الموت التي تلقانا دائما في شعر  
الخواجج • إلا أن عمران حين يتحدث عن الحرب نراه لا يتخربع بشجاعته  
ويغروسيته كما فعل مثلا قطري بن الفجاءة • ففي تناوله للحرب نراه يصور  
ذاته ويتخربع بغروسيته وشجاعته • كما في قوله (٢) :

لَا يَرْتَكِنُ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ ••• يَمُّ الْوَفَى مَتَخَوِّفًا لِحَصَامِ  
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّيَاحِ قَدِ رِيْقَةً ••• مِنْ عَنِ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي  
حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي ••• أَكْنَأْتُ سِرْجِي أَوْ غَانَ لَجَامِي  
ثُمَّ انصَرَفْتُ قَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ ••• جَدَّعَ الْبَصِيرَةَ قَارِحَ الْإِقْدَامِ  
مَتَعَرِّضًا لِلْمَوْتِ أَضْرِبُ مَحَلًّا ••• بَيْنَهُمُ الْحَوْبُ مَشْهُرُ الْأَعْلَامِ  
أَدْعُو الْكَلَامَ إِلَى النَّزَالِ وَلَا أَرَى ••• نَحْرَ الْكَبِيرِ عَلَى الْقَنَا بِحَرَامِ

ولا شك في أن عمران كان أصلب في عقيدته • وأهدى غلوا نسي

(١) شعر الخواجج : ١٥١ •

(٢) شعر الخواجج : ١٠٩ •

فكرة الخواجه من غيره \* وهو ليس بأقل من غيره في الشجاعة والبأس  
ولعل هذا قد نسب إليه لأن معظم شعره في الحرب والغزوية قد قد  
ولم يصل إلينا إلا النزر اليسير منه \* وما قيل عن اعتزاله الحرب والقتال  
لم يصدق إلا حين كبر سنه وأصبح غير قادر على الحرب \* وهو — مع  
قلة شعره — لا يقل شهرة عن غيره من شعراء الخواجه \* وكان لا يقول  
أحد من الصراة شعرا إلا نسب إليه \* لشهرته \* إلا من كان مثله  
في الشهرة مثل قطري بن الفجاءة وعروة القنا وذويهما (١) .

\*\*\*\*\*

( الفصل الثاني )

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

( شعر الحرب والغروسة في أدب الشيعة )

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

من ينظر ما قاله شعراء الشيعة في عصر بني أمية يجد ، يحصل  
ثورة غيفة على بني أمية ، ثورة تنطوي على حقد شديد ، والمطالبة  
بسفك دماء بني أمية ، كما سفكت دماء علي والحسن والحسين وزيد  
بن علي وغيرهم من زعماء الشيعة قادة وأنصارا .

وقد سجل شعراء الشيعة ما حل بالحزب الشيعي من نكبات  
وما وقع عليه من مصائب طوال حكم الأمويين . ولم يغفلوا كذلك تصوير  
المعارك والحروب التي دارت بسبب من مذهبهم ومطلبهم ، وحولوا  
هذه الأسمار إلى نكبات يحضون فيها على الثأر ، وينوحون كذلك  
على شهدائهم وأقربائهم الأبرار .

وشعر الشيعة أقل مستوى في الغروسة من شعر الخوارج ، ونرى  
هذا مردا إلى أن الشيعة أصحاب نزعة سياسية ودينية ، ولم يكونوا  
يحاربون وراء مطلب سام ، وإنما كانت حروبهم بسبب أمور دينوية  
خالصة ، فهم يريدون أن يولوا الخلافة آل البيت . أما الخوارج  
فلم يحاربوا من أجل السياسة ، وإنما كانوا يحاربون من يتخذ الدين  
وسيلة إلى الدنيا ، ولذلك حاربوا كل الفرق والنحل حتى أصبحوا  
خصوما للشيعة والزييريين والأمويين على السواء .

وكان لموت الحسن بن علي رنة حزن في نفوس الشيعة  
فالخلافة ورد الأمر شورى بين المسلمين كما نقض بذلك شروط الصلح  
كل ذلك كان ينتظره أهل الشيعة بعد موت معاوية ، أما وقد مات  
الحسن بغتة فإن في هذا خيبة أمل كبيرة للشيعة ، ولذلك أخذوا  
يكونه أحريكا .

وكان شعراء الشيعة يخوضون الممارك ، ويدودون عن الأمة  
ويجودون بأنفسهم في الحرب دونهم . فهذا هو البطل حبيب بن مظاهر  
يقول في ذوده عن الحسين بن علي موجها الخطاب للأمويين (١) :

أنا حبيب وأبى مظاهر . . . فارس هيجا وحرب تمعر  
أنتم أعداء وأكثر . . . ونحن أوفى منكم وأصبر  
ونحن أعلى حجة وأظهر . . . حقا وأعنى منكم وأعذر

فلما قتل الحسين وأينا ، الشعراء محزونين ، وأخذوا يكونه  
ويندبونهم بدموع لا تجف . وهذا هو الشاعر سليمان بن قتة يرنو  
الحسين بشعر كله زفرا تودموع . يقول (٢) :

مررت على أبيات آل محمد . . . فلم أرها كمهدها يوم حُلَّتِ  
وكانوا رجا ، ثم صاروا رزية . . . وقد عظم تلك الرزايا وجلتِ  
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة . . . لقدد حسين والبلاد اقفرمتِ  
وقد اعولت تبكي السماء لقدد . . . وأنجمها ناحت عليه وصلَّتِ

(١) شعر الحرب في أدب العرب ص ٨٢ ، ٨٣ . عن الطبري .  
(٢) مقاتل الطالبين ، الأصبهاني : ١٢١ . ط الطحبي .

وسرطان ما يتحول الرثاء في الحسين إلى التحريض على قتل  
من قتلوه • والأخذ بثأره وثأر من مات معه من رفاقه • ومن خير ما يمثل  
ذلك قصيدة للشاعر عوف بن عبد الله الأزدي • وفيها يقول (١) :

وباليتنى إذ كنت شهيداً • فصاريت عنه الناشئ الأعاديا  
ودفعت عنه ما استطعت مجاهداً • وأعلنت سبغى فيهم وسنانيا

وعلى هذا النحو كان كل شاعر شيعي يطوى في نفسه رغبة قوية  
في سفك دماء من قتلوا أحداً من الشيعة • ومن خير ما يصور ذلك  
قصيدة لعبيد الله بن الحر حينما خرج في جماعة من أصحابه حتى أتى  
كربلاء • ورأى مصارع القوم ومنهم الحسين • فأخذ ينشد (٢) :

فما ندى ألا أكون نصرته • ألا كل نفس لا تحدد ناديه  
وإنى لأنى لم أكن من حماه • لذو حسرة ما إن تفاق لازمه  
سقى الله أرواح الذين تأزروا • على نصره سقى من القيث دأبه  
لمرى لقد كانوا مصاليغي الوغى • سراط إلى الهيجا حماه حضارمه  
تأسوا على نصراين بنت نبيهم • بأسيا فمهم أساة غيل ضارغمه  
لمرى لقد راغبتونا بقتلهم • فكم ناغم منا عليكم وناقصمه  
أهم مرارا أن أسير بجحفل • إلى فقة راغت عن الحق ظالمه  
فكفوا وإلا دددكم في كتاب • أمدد عليكم من زحوف الديالمه

(١) مروج الذهب : ١١٠ / ٢ •

(٢) مروج الذهب : ٢٣٣ / ٢ •



وقد تعرض الشاعر الكميّ - وهو المتشيع الصادق - لمصرع الحسين فقال عن قاتليه (١) :

ومن عجب لم أقضه أن خيلهم •• لأجوافها تحت العجاجة أُرسل  
هناهم بالمستلثمين عوابس •• كحدّ أن يوم الدجن تعلو وتسفل  
يحلّثن عن ماء الفرات وظلله •• حسينا ولم يشهر عليهن منصل  
كأن حسينا والبهاليل حولته •• لأسيا فهم ما يختل المتقبل  
فلم أرمخذولا أجل مصيبة •• وأوجب منه نصره حين يخذل  
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم •• فيا آخر أمدى له الفسى أول

كذلك كان بكاء الشيعة حين قتل زيد بن علي بن الحسين  
فالمفضل الضبي يكيه ويخلط بكاءه بتهديد بني أمية • فيقول (٢) :

ألا يا عين لا ترقّ وجُودي •• بد معك ليس ذا حين الجسود  
وكيف تفرّ بالمعبرات عيني •• وتطمع بعد زيد في الهجود  
وكيف لها الرقاد ولم ترائسي •• جيات الخيل تتعدّ وبالأسود  
بأيديهم صفائح مرهفات •• صوام أخلّصت من عهد هود  
بها تنقى النفوس إذا التقينا •• ونقتل كل جبار غيـد  
وتحكّم في بني الحكم الموالي •• ونجعلهم بها مثل الحصيد

وهكذا يتضح من كل ما سبق أن الشيعة كانت تستغرق أعمارهم  
ثورات جامعة ضد بني أمية • فهم أرقموا بهم الحزن على أمتهم

(١) الهاشميات : ٧٠ ط شركة التمدن ١٩١٢ •

(٢) مقاتل الطالبين : ١٤٩ •

وشهد انهم • دون أن يرموا فيهم رحمة لرسول الله ولا قسوة  
وقد تحيل شعراؤهم ليكون يندبون صبرهم بدعوى لا ترقأ • ولا عجب  
فلم يكن هناك من بين الفرق فرقة تعرفت للمحن كما حدث للشيعمة

وشعيرهم في تصوير الممارك والبطولة ملتهب حار • لأنه تعبير  
عن عواطف صادقة وتنفيس عن نفوس مكتومة • اقتصب المؤمنون حقوقها  
ولهذا كانوا ياربون في تصوير منازل بهم من نكبات • ووازنوا بين حالهم  
وحال غاصبيهم •

ولم يكن متاحا للشيعمة أن تتأثر من بنى أمية • فسيوف الأمويين  
كانت حليته • وولاتهم كانوا يتملقون الشيعمة ويعدون عليهم أنفاسهم  
ولهذا أخذت الشيعمة بجدا التقية • وأصبح لزاما على كل شاعر شعبي  
أن يطنو في نفسه حزنا عميقا وشورة جامحة • ورغبة قوية في الاستغناء  
بسفك دماء من قتل أعتهم الشهيد •

وكما انطبع شعيرهم بطابع الحزن نراه يصبغ بصبغة السياسة  
الدينية • وكانت الصبغة الدينية في شعيرهم أهد وضوحا • فهم  
يشيدون بأهل البيت ويتخذون من حبيب قري من الله تعالى • ويجدون  
في هذا الحب زادا يقتنعون به عن متاع الدنيا •

وطى كل حال فقد عبروا عن عواطفهم وطاقاتهم تعبيرا شاملا  
جيدا في معانيه وأساليبه • وكانوا يحتدون في أحاسيسهم ومعانيهم  
على القرآن الكريم احكاما ملحوظا يحكم حرصهم على صيغ سياستهم

وأفكارهم بصفة دينية شرعية • وخاصة في هجومهم على بنى أمية •

( من شعره الميمنة )

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

• الكميث بن زيد الأسدي • (١)

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

هو الكميث بن زيد الأسدي • ولد بالكوفة سنة ٦٠ هجرية  
وأخذ يختلف إلى دروس العلماء يتلقن الفقه والحديث النبوي وأنساب  
الحبيب وأيامها • وعرف بالتشيع لبني هاشم • ومات قبل الدولة  
المباسمية فلم يدركها سنة ١٢٦ هـ في خلافة مروان بن محمد •

ولا يملك أن يبرح في قريته الشعر • وجلس إلى الشعراء فيعيد  
شهم • وطلب بشعره جوائز الأشراف والولاة والخلفاء • وقد وقف أمام  
الشاعر الفرزدق وهو ينفد أفعاله فأعجب بها • وقد قال له الفرزدق  
: يا غلام • أيسرك أني أبوك ؟ فقال : لا • ولكن يسرنى أن تكون  
أبي • فحصر الفرزدق • فأقبل على جلسائه وقال : ما يرى مثل هذا  
قط • (٢) •

وكانت له أعمار ثائرة حبس بسببها في سجن الأمويين • وهو  
مع تشيعه يفخر بخبريته بهجو اليميين هجاء شديدا • ويقال إن سبب  
هذا الهجاء • أن شاعرا من أهل الشام • يقال له : حكيم  
بن قيس الكلبي • كان يهجو بني هاشم جميعا • وكان منقطعا

(١) احتجنا في هذه الترجمة على كتاب الأغني : ١٨ / ٦٢٦٥ •

(٢) الأغني : ١٨ / ٦٢٦٥ • ٦٢٦٦ •

إلى بنى أمية • فانتدب له الكهنة فهاجوا وسبه • ولج الهجاء بينهم  
وكان الكهنة يخاف أن يقتل في شعره عن علي • وكان يظهر أن هجاء  
إمام العصبة التي بين بنى عدنان وقحطان (١) .

وشعره يصور بنى أمية طفاة • سلوا الخلافة • وسفكوا الدماء  
بخير حق • ولذلك حمل علي بنى أمية حتى قال فيهم وفي بنى هاشم (٢)  
وطلت الأحكام حتى كأننا • على يلة غير التي نتعمل  
كلام النبيين الهداة كلاً • وأعمال أهل الجاهلية نفعل  
رضينا بدنيا لا نريد فراقها • على أننا فيها نموت ونقتل

« « «

فتلك ملوك السوء طال ملكهم • فحقى حتى م المناه الحوى  
فما يب هل إلا بك النصر يرتجى • عليهم • وهل إلا عليك المثل ؟

وهذه القصيدة من صميم الشعر الحوى • ففيها وصف هجاء  
أمة الربيعة وأبطالهم • ويتحدج بخصالهم الحميدة • وصف بأسهم  
وصلابتهم عند الأمويين • ولا عجب فالشاعر يحب آل البيت • لما لهم  
من قرابة عند رسول الله • وقد أظهر هذا الحب في عاطفته الحارة التي  
سادت هاشمياته التي لم ينشد لها للتكسب أو النوال • وقد روى أنه  
رفض عطاء لهم وقال : والله ما أحببتكم للدنيا • ولو أردت الدنيا

(١) الأغاني : ١٨ / ٦٣٠٥ .

(٢) أدب السياسة في العصر الأموي : ٤٩٢ • ٤٩٣ .

لأتيت من هي في يديه • ولكني أحببتكم للآخرة (١) • •

وللكميت تصائد صادقة العاطفة قالها في بني هاشم • يحتج  
فيها لهم • ويؤمن أحقيتهم بالخلافة • ويهجو فيها حكام بني أمية  
يعدو للثورة عليهم • وهذه هي ( هاشميات الكميت ) •

وهي ذات طابع خاص • ولعل هذا هو الذي جعله لا يبدأها  
كماداته ببيكة الأطلال أو الغزل • وإنما كثيرا ما كان يبدأها بحب آل  
البيت والانتصار لهم • كقولها :

طربت وما شوقا إلى البيض أطيب • • • ولا لعبا بنى • أذوالشيب يلمب ؟  
ولكن إلى أهل الفضائل والنسب • • • وخير بني حواء • والخير يطلب

والكميت لم يكن يلتفت في شعره • وإنما كان يسوق أفكاره مساق  
التحدث الجدل • وشعره في آل البيت حجاج لهم ودفاع عن حقهم  
وحلقة على خصومهم • • ويكفيه أنه أسبق الشعر إلى تأريث هذه الحلقة  
حتى استطار ليهبها مدة من الزمان •

\*\*\*\*\*

( الفصل الثالث )

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

" شعر الحرب والفروسيه في ظل النيريين "

من ينقب عن الشعر الذي واكب حركة النيريين يجد ، أفضل  
ما قيل في غيرهم من الأحزاب السياسية الأخرى كالشيعة أو الخوارج  
أو بني أمية ، ولعل مرد ذلك إلى أن حركة النيريين لم يكتب لها  
طول العمر ، فضلا عن أن النيريين لم يؤمنوا بدور الشعر في الانتصار  
للسياسة والتوطيد لها ، ولهذا قل عدد الشعراء المناصرين لمذهبهم .

وقد استطاع شعرهم مع قلته أن يصور الأحداث السياسية الدامية  
والوقائع الحربية المترتبة عليها تصويرا ينم عن مقدرة رائعة ، ولعل شعرا  
لم يبلغ في ذلك ما بلغه شعرا بن قيس الرقيات ، فهو شاعر النيريين  
ونظيرتهم السياسية غير مدافع ، وفي شعره مجال لوصف البطولة التي  
عرفها التاريخ للحركة النيرية في سلمها وفي حروبها .

ونحن سنعرض لشعر الحرب والفروسيه من خلال ارتباطه  
بالأحداث السياسية والمعارك الحربية التي شغلت شعراء الحزب  
النيري ، والتي جاءوا بها في ثنايا قصائدهم لا في قصيدة خاصة  
شأنهم شأن معظم شعراء الأحزاب الأخرى .

وهاهي موضوعات شعر الحرب والفروسيه عند شعراء الحزب  
النيري :

(١) وصف الفروسية والافتخار بها :

واين قيس الرقيات صورته صادقة لفروسية الزبيريين ، فهو  
صاحب سياسة ، وهو وإن تغزل ووصف عواطفه أحيانا ، لا يكون ذلك  
للهو ولا لوصف حب صادق ، ولكن ليعبث بخصومه السياسيين (١) .

وشعره فياض بالحماسة وبمنااة الفروسية . ففي قصيدته التي  
قالها حين ارتحل إلى فلسطين نجد ، يفخر بفروسيته . فيقول (٢) :

حَلَّقْ من بنى كنانة حولي . . . بفلسطين يسرعون الركوب  
من رجال تُفَنِّي الرجال وخيل . . . رُجِمَ بالقنا تَمُدُّ الغُيُوصُ  
لا يبالون من أقام إذا ما . . . كَشَفُوا بالسيف يوما عصيا  
ذاك خير من البليخ ومن صو . . . ت ذئاب على يد عون ذيبا (٣)  
إن قوم الفتى هم الكنز في دُنْ . . . ياء والحال تُسرع الظلها

وله آمال وأمانى ، ولا يتحقق له شيء من أمانيه إلا ببركـ  
المخاطر والأهوال ، وقد كانت له حروب وغزوات ، ولم يقصر في وصف  
نفسه بالفروسية وباللباس في القتال والحرب . يقول (٤) : واصفا إحدى  
غاراته :

فعدونا بهن في غش اللي . . . حل دقاقا كأنهن المغالسي  
أدرك الدحل فتية من بنى ع . . . رو بصير النفوس بين العوالي

(١) انظر حديث الأوصياء د . طه حسين : ٢٥٠ / ١ د . المعارف ط ١٢ .

(٢) الديوان : ١٠٩ ، ١١٠ د . بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(٣) يعني بالبليخ العراقي . (٤) الديوان : ١١٦ .

لو رأيتني ابنة التويعم ليلس . . . إذ نلقت الأبطال بالأبطال  
حين نمتى أخاك بالأسلي السم . . . سر وشعت كأنهن السعالس  
لشقى نفسك انتقام بنى عم . . . لك حين الدماء كالجزال  
طلت من طلع في الحروب ولم يند . . . سأل طلع ولادما الموالس  
منى مالك بن حنبل تارنا . . . غير فخرينا وغير انتحال  
وأصبتنا بعد الرجال رجالا . . . وحنينا الأموال بالأموال

وله قصيدة في مدح قرش ومصعب بن الزبير<sup>(١)</sup> ، وفيها يشيد  
بانتصار مصعب على المختار الثقفي . فيقول :

والزبير الذي أجاب رسول ال . . . له في الكوب والبالا بلا  
والذي نقص ابن دومة ماتو . . . حي الشياطين والسيوف ظلا  
فأباح العراق يضربهم بالسيف . . . فاصلنا وفي الضراب فلا  
فجئوا عن مواطن مغمصات . . . ليس فيها إلا السيوف رجاء  
فسموا كي يفللوك ويأبى ال . . . له إلا الذي يرى ويشا  
إننا مضمت شهاب من الل . . . به تجلت عن وجهه الظلما  
ملكه ملك قوة ليس فيه . . . جبروت ولا به كبريا

ويأسى لحرق جيوش الشام للبيت الذي يحج إليه الناس من كل  
فج عيق . ثم لا يلبث أن يدعو دعوة عنيفة لحرب عبد الملك حتى أمه  
حتى تخوض دولتهم في غردارها :

(١) الديوان : ٨٧ - ٩٦ .



ليس لله حومة مثل بيت .. نحن حجابيه عليه السلا  
 خصه الله بالكرامة فالبها .. دون والعاكفون فيه سوا  
 كيف نومي على الفراش ولما .. يشمل الشام غارة شعوا  
 تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي .. عن براهها العقلية المذرا  
 أنا عنكم بنى أمية مسزور .. وأنتم في نفس الأعداء  
 إن قتلنا بالحق قد أوجعتني .. كان منكم لئن قتلتم شفا

(٢) وصف الممارك والحروب :

كان مسلم بن عقبة المري قد أنزل في بقعة الحرة بأهل المدينة  
 من أعمال العنف والقسوة والتكيل ما أنزل \* وتذكر كتب التاريخ أن المدينة  
 قد فقدت في هذه البقعة كثيرا من صحابة رسول الله - صلى الله عليه  
 وسلم - \* كما فقدت كثيرا من قرش والأنصار \*

وكان لهذه البقعة أثر عيق في نفوس الناس \* وخاصة أصحاب  
 عبد الله بن الزبير \* وعلى رأس هؤلاء الشاعر ابن قيس الرقيات قد رثى  
 ضحايا هذه البقعة بقصيدة يقول فيها (١) :

ذهب الصبا وترك غيبتها .. ورأى الفواني شيب لمتية  
 وهجرتنى وهجرتهن وقد .. غيت كراوياها يطفن بيته  
 إن ليلى سوداء ليس بها .. وضح ولم أجمع بأخوتية  
 الحاملين لواء قومهم .. والذائد بن ورا عورتية

(١) انظر ابن الأثير الكامل ٤ / ١١١ (٢) الديوان : ٩٧ - ١٠٠ \*

إن الحوادث بالمدينة قد . . . أوجعنى وقرع مرويتي  
وجببني جب السنام فلم . . . يترك ريشا في مناكيتي  
وأنى كتاب من يزيد وقد . . . شد الحزام بسنخ بغلتي  
ينعيني عذر وإخوتهم . . . حل الهلاك على أفايتي  
ونعى أسامة لى وإخوته . . . فظللت مستكاً مساميتي  
كالغارب النضوان قطره . . . سأل الرقائ تغيب غيبتني  
سدياً يحزني الصحيح وقد . . . مؤ المنون على كويتتي  
كيف الرقاد وكلما هجعت . . . عني ألم خيال إخوتتي  
تكني لهم أسامة مؤلثة . . . وتقول ليلي : وأنتيتي  
والله أبرح في مقدمة . . . أهدى الجيوش على فيكتي  
حتى أفجعهم بإخوتهم . . . وأسوق نسوتهم بنشوتتي

فهذه فجيعة أليمة . وقد بكى الشاعر على ضحايا الوقعة  
بكاء حاراً يعمور بالشورة والتحريض على يزيد وبنى أمية . وقد ذهب  
الدكتور طه حسين في كتابه حديث الأربعا إلى أن هذه القصيدة  
قد صنعت لتتوح بها الناحيات (١) .

ودارت وقعة مرج راهط واستمرت عشرين يوماً . وهنم فيها  
جيش ابن الزبير ومن انضم إليه . وكان زفر بن الحارث الكلابي وقومه  
والقيسية في جيش ابن الزبير . وقد صور زفر قسوة هذه المعركة  
قال : (٢)

(١) ج ١ ص ٢٥٦ . (٢) الفرق الإسلامية في العمى لأبوى د . نعمان  
القاسبي : ٤٧٩ . ٤٨٠ .

وكنا حسينا كل بيضا شحة ••• ليالى لاقينا جذام وحميرا  
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ••• ببعض أبت عيدانه أن تكسرا  
ولما لقينا عصبة تغلبية ••• يقودون جردا للمنية ضمرا  
سقيناهم كأسا حقونا بمثلها ••• ولكم كانوا على الموت أصبرا

وتظهر غرسية هذا الشاعر في أنه صور في الأبيات شجاعة  
خصومه وكيف كانوا يصبرون في القتال شأنهم شأن الفرسان الذين اعتادوا  
الحرب وما رسوها •

### (٣) الدعوة إلى الجهاد :

كل شعرا الحزب الزبيرى قد دعا لحرب الأمويين • وخاصة  
عبد الملك بن مروان الذى استباح المدينة والبيت الحرام وقتلوا الحسين  
في موقعة كربلاء • يقول ابن قيس الرقيات (١) :

كيف نبسى على الفرائس ولما ••• يشمل الشام غارة شعرا  
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ••• عن براها المعيلة العذرا

وتتضمن الدعوة إلى الجهاد والتنديد بالقبائل التى تخلت  
عن نصره الزبيريين • ففي موقعة دير الجاثليق دارت على جيش  
الزبيريين • وصمد مصعب إلى النهاية • وظل يقاتل إلى أن تخلت  
بعض القبائل عن نصرته وخذلوه حتى لم يعد قادرا في الدفاع عن نفسه

(١) الديوان : ٩٥ • ٩٦ •

وكان لهذا رنة أسمى في شعر الزبيريين \* ومن خير ما يمثل ذلك ما قاله عبيد الله بن قيس الرقيات حين شاعت هزيمة مصعب فأخذ يندد بالقبائل التي تخلت عن نصرته صاحبه فقال (١) :

لقد أورت المصريين خزيًا وذلةً      ••• قتل يد ير الجانيق مقيم  
تولى قتال المارقين بنفسه      ••• وقد أسلماه ميمد وحميم  
فما تصحّت لله بكرين وائل      ••• ولا صبرت عند اللقاء تميم  
ولو كان بكريا تمطّف حولـه      ••• كتاب يغلى حثيها ويدوم  
ولكنه ضاع الدمام ولم يكن      ••• بها مضى يوم ذاك كريم  
جزى الله كوفيا هناك ملامّة      ••• ويصرّهم إن المليم ملـيم  
وإن بنى العلات أخلوا ظهورنا      ••• ونحن صريح بينهم وصميم  
فإن نغن لا يبقوا أولئك بعدنا      ••• لذي حوة في المسلمين حريم

ولذلك حينما نقرأ أشعار زفر بن الحارث الكلابي نجد هذا مليحة يشهد يد كل من تغلب وكتب وأخواتها من القبائل اليمنية \* يقول مشيرا إلى أنه يقف دون ابن الزبير ضد قبيلة كلب وزعيمها ابن بحدل الذي يناصبه أمية \* ويتوعد كلبا ويميدا يتضمن الأمل في النصر والظفر \* يقول (٢) :

أفي الله أما بحدل وابن بحدل      ••• فيحى وأما ابن الزبير فيقتل  
كذبتم صيت الله لا تحتلونـه      ••• ولما يكن يوم أغر محجـل  
ولما يكن للمشرقـة فوقكم      ••• شعاع كدرن الشمس حين ترجـل

(١) الديوان : ١٩٦ + ١٩٧ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤١٩/٤ . مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩ .

(٤) الابتهاج بالنصر والفرح لقتل الخصوم :

خلا وجه الشام لمروان بن الحكم وتمت له البيعة فيه بهزيمة قيس في مرج راهط . ونجح مروان آنذاك في أن ينتزع مصر من طاعة ابن الزبير . وفي هذه الأثناء أرسل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا على رأس حملة إلى فلسطين في محاولة لإعادة نفوذه إلا أن هذه المحاولة فشلت . ووجه مروان بجيش إلى العراق بقيادة عبيد الله ابن زياد . وقد اصطدم ابن زياد بجيش المختار الثقفي . ومع أنه نجح في هزيمة جيش له إلا أنه انهزم أمام جيش آخر بقيادة إبراهيم ابن الأشتر . وقتل ابن زياد في هذه الواقعة .

وكان لانتصار ابن الأشتر على عبيد الله وهزيمته ومقتله صدى فرح وابتهاج في شعر الزبيريين . لأن المختار الثقفي قد كدس ابن الزبير بهذا النصر لقا الجيش الأموي . يقول سراقه الباقى عقب هذه المعركة (١) :

أناكم نلّام من عرائين مذبح . . . جرى على الأعداء غير نكول  
فيا ابن زياد بنو أعظم مالك . . . وذق حدّ ماضى الشغرتين صقيل  
ضربناك بالعصب الحسام بحدة . . . إذا ما أبأنا قاتلا بقتيل  
جزى الله خيرا شرطة الله وإنهم . . . شغوا من عبيد الله أس غليلي

(١) تاريخ الطبري : ٩٢/٦ . دار المعارف ط ٢ .

(٥) الاعتذار :

قد يحدث أن تخرج جماعة على أمر الوالى ، أو يقصر قائد  
فى انجاح خطة حربية مما يؤدى إلى حدوث الهزيمة ، فيقدم بعض  
الشعراء بالاعتذار عنهم والاستشفاع لهم ، وقد يكون المطلوب له  
المعذر من الشعر فيقوم به عن نفسه .

وقد دارت موقعة مرج راهط ، وأقمت فيها كلب وقبائل  
قضاة ومن انضم إليهم من تغلب هزيمة مروعة بقيس ، وقد قتل فى هذه  
المعركة الضحاك ، وهرب الشاعر زفر بن الحارث الكلبي . وقد أنشد  
فى هذه الموقعة شعرا يعتذر فيه عن فراره . قال (١) :

لعمري لقد أبقت وقعة راهط . . . لسروان صدع بيننا متائبا  
أرى الحرب لا تزداد إلا تاديا . . . أرى الحرب لا تزداد إلا تاديا  
أتاني عن مروان بالغيب إنه . . . بقيد دمي أو قاطع من لسانيا  
ففى العيش منجاة وفى الأرض مهرب . . . إذا نحن رفعتنا لهن المثنيا  
فلا تحسبوني إن تغيت غافلا . . . ولا تفرحوا إن جئكم بلقائيا  
قد ينبت المرعى على دمن الثرى . . . وتبقى حزازات النفوس كما هيا  
أذهب كلب لم تلها راحنا . . . وترك قتلى راهط هي ماهيا  
لعمري لقد أبقت وقعة راهط . . . لحسان صدع بيننا متائبا  
أبعد ابن عمرو وابن تنابعا . . . ونقتل همام أبنى الأمانيا  
فلم ترمي نبوة قبل هذه . . . فرارى وتركى صاحبي ورائيا

(١) الطبري : ٥ / ٥٤١ دار المعارف ط ٤ ، والأغاني : ٢١ / ٢٤٧٩ .  
دار الشعب .



وانظر أبيات ابن قيس القيسيات :

كيف نبوس على الفراش ولما \* \* \* تشمل الشام غارة شعرا  
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي \* \* \* عن براها العقيلة العذرا  
أنا عنكم يا بني أمة مزو \* \* \* ر وأنتم في نفس الأعدا

وقال زفر بن الحارث :

فلأصلح حتى تنحط الخيل بالقنا \* \* \* وتثار من نسوان كلب نسايبا

فإن هذا العمر يمثل عاطفة كره قوية وصلت إلى حد الحقد .

( ٤ ) تكاد تسود هذا الشعر نغمة حزينة \* ولم لا وقد جانبهم  
التوفيق ولا زهم سوء الحظ في فترة نفوذهم القصيرة \* وكم كانت هزائمهم  
بحسب تفرق وحدتهم وتمزق شملهم \* وانصراف أصحابهم عن مؤازرتهم .

( ٥ ) فضلا عن ذلك فإن شعرهم يمتاز بسهولة اللفاظ وصفاء لحنه  
وعذوبة موسيقاه \* وقد ذهب الدكتور طه حسين إلى أن ابن قيس  
القيسات صنع مراثيته في قتل الحرة لتيكى فيها الناحات .

\*\*\*\*\*





وموقف عبيد الله من الحزب الزبيرى كموقف الكميث من آل البيت  
فعلى حين انقطع الكميث لآل البيت حيا وتجيذا \* نجد عبيد الله  
يبرز الحجج والذرائع التي يتذرع بها آل الزبير في أحقيتهم بالخلافة  
وقصيدة الهمزية دليل واضح على حبه لقريش \* وعلى اعتناقه المذهب  
الزبيرى \* وفيها يقول :

|                            |    |                                         |
|----------------------------|----|-----------------------------------------|
| حيذا العيش حين قوس جميع    | •• | لم تفرق أمورها الأهوا                   |
| قبل أن تطمع القبائل في ملـ | •• | كقريش وتشتت الأعدا                      |
| أيها المشتبه فناء قريش     | •• | بيد الله عمرها والقنا                   |
| إن تودّع من البلاد قريش    | •• | لا يكن بعد هم لحى بقا                   |
| لو تحقّق وتترك الناس كانوا | •• | غنم الذهب غاب عنها الرعا                |
| لو بكت هذه الساء على قـ    | •• | م كرام لبكت علينا السما                 |
| نحن منا النبي الأمي والعقـ | •• | يق منا التقى والخلفاء                   |
| والزبير الذي أجاب رسول الـ | •• | له في الكرب والبلاء بلا                 |
| والذي نقص ابن دومة مائـ    | •• | حي الشياطين والسيوف ظلما <sup>(٢)</sup> |
| إننا نضعب شهاب من اللـ     | •• | ه تجلّت عن وجهه الظلما                  |
| ملكه ملك قوة ليس فيـه      | •• | جيروت ولا به كبريـا                     |

وقد بلغ من تعصبه للزبيريين أنه تهكم بنساء بني أمية واتخذ من  
النسيب والتشبيب بنسوتهم مدخلا للنيل منهم \* كما فعل بأُم البنين

(١) الديوان : ٨٧ وما بعدها \*

(٢) ابن دومة : المختار بن أبي عبيد القحفى \*

امراة الوليد بن عبد الملك وثبت عبد العزيز \* يقول في مستهل المدح (١):

|                                      |     |                     |
|--------------------------------------|-----|---------------------|
| ألا هزقت بنا قرشيـــــــــــــــــة  | ••• | سنة يهتز موكبها     |
| وأثبي قتيعة في الرأـــــــــــــــــ | ••• | س منى ما أعجبها     |
| قالت : أين قيس ذا ؟                  | ••• | وعجز الشيب يحجبها   |
| وأنتى قد مضى مــــــــــــــــنى     | ••• | ونفحات صواحبهـا     |
| ومثلك قد لهوت بهـــــــــــــــــا   | ••• | تمام الحسن أعجبها   |
| قد ع هذا ولكن حــــــــــــــــا     | ••• | جعة قد كنت أطلبها   |
| إلى أم البنين مــــــــــــــــنى    | ••• | يقومها مقربها       |
| أنتنى في المنام قــــــــــــــــل   | ••• | ت هذا حين أعجبها    |
| فلما أن فرحت بهـــــــــــــــــا    | ••• | وبال على أعذبها (٢) |
| فموت بهيها حــــــــــــــــى        | ••• | تبهلت وتأتوها       |
| وتعجبها جــــــــــــــــلا          | ••• | ن تعجبني وأعجبها    |
| وأضحكها وأبـــــــــــــــــا        | ••• | والهمها وأسلبها     |
| أطالجها فتصرــــــــــــــــنى       | ••• | فأرضيتها وأعجبها    |
| فكانت ليلة في النــــــــــــــــو   | ••• | م تسترهما وتلعبها   |

وهنا شئ ينبغى أن تنبه إليه وهو أن عبيد الله بن قيس الرقيات وإن سبقه الجاهليون بهذه الطريقة \* إلا أنه قد بلغ في هذا الفن شأوا لم يبلغه شاعر آخر من الذين سبقوه أو عاصروه \* وقد وصل من هذا الغزل إلى كل ما كان يريد \* فأحفظ بنى أمية عليه أهد إحفاظ حتى

(١) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : ٤٨ وما بعدها \*

(٢) أعذبها : أى عصبها \*

هدروا دمه ، وأبرؤا ذمتهم ممن آواه (١) .

وكل شعره يمتاز بالمعطف على آل الزبير والسخط على بني أمية ، وشعره له صدى قوى فى نفوس قارئيه أو سامعيه ، لأنه مدغم بالحجة والبرهان ، فملك الأمويين يقوم على القهر والتسلط والظلمة وهم أنفسهم الذين فرقوا وحدة قريش ، وقتلوا فى وقعة الجسر ( سنة ٦٣ هـ ) عددا كبيرا من أهل المدينة من بينهم أسامة وسعد ابنا أخيه عبد الله .

وقد بكى عبيد الله من ماتوا فى هذه الموقعة بكاء حارا يقول فيه (٢) :

|                        |                          |
|------------------------|--------------------------|
| إن الحوادث بالمدينة قد | أوجعننى وقرعن مروتيه (٣) |
| وجيبنى جب السنام فلم   | يتركن ريشا فى مناكبيه    |
| وأنى كتاب من يزيد وقد  | شد الحزام بسرج بغلتيه    |
| يمنى بنى عبد وأخوتهم   | حل الهلاك على أقاربيه    |
| وتعى أسامة لى وإخوته   | فظللت مستكا مسامعيه      |
| كيف الرقاد وكلما هجعت  | عيني ألم خيال إخوتي      |
| تيكى لهم أسماء معلولة  | وتقول ليلى : وأزيتيه     |

وشعر عبيد الله مجال واسع لوصف البطولة التى عرف

(١) حديث الأريحا : ٢٥٢/١ ( د . طه حسين ) .

(٢) الديوان : ٩٨ وما بعدها .

(٣) لأقرعن مروت : إذا أصبته بشر ، والمرأة واحدة المرو وهى حجارة بيض يقدح منها النار .

للزيريين \* فهو يفتخر بقرش ويتمدح بفروسيتها \* ولم يأل جهدا  
في وصف قتال الزيريين واقدامهم وحملهم السلاح وصمودهم لجيش  
الأمويين في المراق والحجاز \* أما وصفه فروسيته فلم يك مقصرا فيها  
بل ذكر غاراته وحضوره القتال \* وعدد آماله وأمانيه (١) .

ومع أن النضال السياسي هو الأداة الوحيدة لفهم صاحبنا إلا أنه  
شاعر معروف بالفضل \* يذكر مع أصحاب النسيب من قرش وأهل  
الحجاز \* وقد فضل ابن أبي عتيق شعره على شعر كثير \*

يروى الأصفهاني (٢) : أنشد كثير ابن أبي عتيق كلمته التي يقول  
فيها :

ولست برافئ من خليل بنائل \* قليل ولا أرضى له بقليل  
قال له : هذا كلام مكافئ \* ليس بعاشق \* القرشيان أقتنع  
وأصدق منك : ابن أبي ربيعة حيث يقول :  
ليت حظي كحظية المين منها \* وكثير منها القليل منها  
.....

وقوله أيضا :

فعدى نائلاً وإن لم تنيل \* إنه يقنع المحب الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

وقد بعثكم لا تهجرنا \* ومننا المنى ثم اطلبنا

(١) يلاحظ ذلك في الحديث عن شعر الحرب والفروسية عند الزيريين .  
(٢) الأغاني : ١٧٣٩/٥ ، ٢٧٤٠ .

عدينا في غوما عشت إننا . . . . . نحب وارن مطلت الواعد يننا  
فلما تُنجزى عديني وإيسا . . . . . نعيش بما نُؤمل منك حيننا

ولاشك أن الشاعر كان صاحب لهو ، وأنه اتخذ الغزل وسيلة  
إلى اللهو كما اتخذوه وسيلة إلى السياسة ، هذا إن لم يكن غزله  
لوصف عواطف نفسه ، وقد صادف رقية بنت عبد الواحد في الطواف  
حول البيت فشبب بها . يروي الأصفهاني . فيقول (١) : أخبرني الحوصي  
قال حدثنا الزبير قال سمعت عبيدة بن أسعب بن جبير قال حدثني  
أبي قال حدثني فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قال : حجت  
رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد العاصمية ، فكتبت آتيها وأحدثها  
فتستظرف حدشي وتضحك مني ، فطاف ليلة بالبيت ثم أهوت لتستلم  
الركن الأسود وقبلته ، وقد طفت مع عبيد الله بن قيس الرقيات ،  
فصادف فراغا فراغها ولم أشعر بها ، فأهوى ابن قيس يستلم الركن  
الأصفر وقبله ، فصادفها قد سبقت إليه ، فنفحته برؤسها (٢) فارتدع  
وقال لي : من هذه ؟ فقلت : أولا تعرفها ؟ هذه رقية بنت عبد الواحد  
ابن أبي سعد ، فعند ذلك قال :

مَنْ عَدِيْرِي مِمَّنْ يَضُنُّ بِمِيزُو . . . . . لِي لَعِيْرِي عَلَى عَدِّ الطَّوْافِ  
يريد أنها تقبل الحجر الأسود وتضن عنه بقبلتها . وقال في ذلك :  
حدثوني هل على رجلٍ . . . . . طاشني في قبلي حرجٍ

(١) الأغاني : ١٧٤٠/٥ ، ١٧٤١ .

(٢) نفحته : أصابته . والردن : الكم .

وبعد فهذا هو عبيد الله بن قيس الرقيات شاعر الحزب الزبيرى  
وشاعر قرين الذى ظل طوال حياته يذود عن القرشيين ، ولم يقف  
شعره مع هذا عند حد السياسة ، بل تجاوزها فمكن حياته التى  
توزعت بين السياسة واللهاو . وكيفيه أنه اتصل بأحزاب ثلاثة مختلفة  
اتصل بحزب الزبيريين ، وفيهم قال أجود مدحه ، واتصل بالأمويين  
وفيهم قال الكثير الجيد ، واتصل بالهاشميين وفيهم أحسن الممدح  
وأجاد ، ولم يكن مع ذلك متلوناً ولا فاسداً الضمير (١) .

\*\*\*\*\*

---

(١) حديث الأريحا : د . طه حسين ٢٥٤/١ ، ٢٥٥ .

( شعر الحرب والغروسية والمناسبات والمواقف )

~~~~~

الم عاطفة عنصر هام من عناصر الأدب ، وركن أساسى من أركانه بل هى عادة ، وهى التى تمنحه صفة الخلود^(١) . وهى التى توجه خيال الشاعر وتدفعه إلى انتقاء الألفاظ واختيار صور القول ، ثم هى التى تجعل الشعر صورة صادقة لنفس الشاعر ، وقطعة من حياته وتكشف عن تجويزته بوضوح .

وأول ما يميز به الشعر القوى الصادق أنه تعبیر عن عاطفة تجيش بنفس الشاعر ، أما الشعر الضعيف فهو الذى لا ينبع من عاطفة وهو شعر يأتى كله زائفاً تموزه الحرارة .

وعلى ذلك . فهل كان الشعر الذى قرضه شعراء الحرب والغروسية نابعا من عواطفهم ؟

والحقيقة إن كثيرا مما نظموا لم يكن لينشد إلا استجابة لدوافع وانفعالات جاشت بها نفوسهم ، وعبرت ألسنتهم ، ولذلك جاء صورة صادقة تعكس بوضوح ما بنفوسهم ، ويحمل سمات حياتهم وتجاربهم فشعر كل حزب يحمل فى طوإياه حبا لهذا الحزب والدفاع عنه ضد مناوئيه ، وقصائد هم فى الحرب تصدر عن شعور قوى عيق ، وكل قصيدة منها تحمل حبا قويا للمعاونين وبغضا شديدا للمناوئين

(١) النقد الأدبى ، أحمد أمين : ٢٢/١ . النهضة المصرية ط ٤ .

وشعراء الخواج لهم باع طويل في هذا • وميدانهم في هذا الشعر أرحب وأوسع • وهذا هو السبب في تأجج العاطفة عندهم حتى خرج شعورهم وكأنه قطعة منهم ومن حياتهم • تتجلى فيه التجوية • وتتمثل فيه أحداث العصر • ولقوة العاطفة عند كثير من شعرائهم خرجت من ثم طريقتهم في الوصف تتأثر بالتصوير الغنى الجميل •

ولاشك أن المناخ العام في عصر بني أمية كان مجالا رحبا يتسع لقوة العاطفة وصدقها • فالعصر عصر أحزاب سياسية حقيقية • وقد نشط كل حزب في محاربة الأحزاب الأخرى ومحاولة إجهادها والتبيل منها •

وبالمثل كانت هناك أشعار نحس من قراءتها أن صاحبها إنسان نظمها فحسب ليزين بها مناسبة سياسية أو حوية • أو إن شئت فقل ليشترك بها مع من نظموا على إثر دوافع سياسية أو غيرها • والشاعر يلقى بهذه القصيدة جامدة تفقد الروح • ومثل هذه الأشعار إن هي إلا تسجيل للناسية • وليست بعد جزءا من نفس قائلها • كما أنها ليست صورة صادقة له • ولا تعبر بالمرّة عن تجوية أصيلة • وإنما انبعثت نتيجة أسباب زائفة مصطنعة •

وقد حدث هذا في أشعار الأمويين والشيعة والزييريين — مع تفاوت فيما بينهم — فقد يأتي الشاعر منهم بشعره دون أدنى احساس أو مشاعر • وهم وإن عبروا عن اضطرابات العصر إلا أنهم لم يكونوا حريصين على اظهار شخصيتهم في القصيدة • وترى كثيرا منهم وكأن

موضوع شعره يعيش بعيدا عنه وخارجا عن أنفسهم .

ونحن هنا نتمتع نفوس شعراء الأحزاب فتجرد من ثم كثيرا منهم من العاطفة الصادقة بسبب أن ما ينظرونه ليس تلبية لمشاعرهم وأحاسيسهم . ولكنه كان تلبية للحزبية ومجازاة لأوضاع سياسية واجتماعية معينة من غير أن يكون لهذه الأحداث ظاهرا أثر في عواطفهم وأحاسيسهم . ولعل الذى دفعنى إلى مثل هذا الموضوع أن كثيرا مما قاله الشعراء كان قد صدر في مواقف وأحداث معينة .

والذى أراه أن الشعر يجب أن يصدر عن نفس الشاعر وينبع من داخله . وأن يعبر عن تجاربه ويرتبط بها ارتباطا تاما وموضوعيا وليس عينا بعد على هذا الشعر أن يكون متعلقا بمناسبة أم لا . وإنما العيب ألا يكون الصدق ملازما لانفعال الشاعر . وأن يأتي شعره فلا ندري أهوله أم لغيره . وعلى هذا فأنسى أرى أن شعر المناسبات كأي شعر . فإن انبثق عن عاطفة صادقة جاء شعرا قويا يقيه الذوق ولاضرر عليه أنه في المناسبة . فكل الشعر العاطفي الصادق إنما تدعو إليه مناسبة من المناسبات العاطفية من حب وإعجاب وغير ذلك من المواطن التي هي البواعث الحقيقية للشعر . فالشعر الصادق هو ما كان مرآة لعصره . وسجلا لبيئته وديوانا لأيامه . وتعبيرا لأحاسيس قائله (١) .

وغدى أن شاعرا يخضع للمناسبة ويتخلص منها ببراعة إلى موضوعات

(١) التجديد في الأدب المصري ، عبد الوهاب حمود ، ١٢٠ : .

أخرى تتسع للفن • لهو أعظم من شاعر يستولى عليه الخيال مهما كان
لخياله من تحليق • فالمناسبة ليست هي التي تخلق الأفكار والخواطر
ولكنها تتيح فحسب لها فرصة الظهور والانطلاق •

وكثير من شعر الخواجا في المناسبات والمواقف يرى الشاعر
فيه يطنى على المناسبة ويسمو فوقها • ولا يدو أمام القارئ أثر للمناسبة
وإنما يجد حظ العاطفة والوجدان والتجوية الشعرية أكبر بكثير من حظ
المناسبة والظروف الطارئة • وذلك لأن المناسبة حينذاك قد هزت
وجدان الشاعر وأثارت شاعريته • فهذا وكأن نفسه تتحرك بإلهام منه
لا بالإلهام خارجي عنه • ثم إن المناسبة قد أتت متوافقة مع شعرا
الخواجا ودوافعهم النفسية • وكل ما للمناسبة من دور أنها حركت
فحسب التجوية التي بداخل الشاعر •

ولاشك أن الخواجا كانوا غلاة في عقيدتهم • وكانوا كذلك غلاة
في حبهم • فكم خوت لهم دوروكم سفكت لهم دما • حتى قسمت
قلوبهم في سفك الدم والتخريب وظلّت أكبادهم في أحكام الحرب حتى
استباحوا قتل الأطفال • وظلوا ذلك بأنهم يريدون ألا يخلف من بعد
مناوشتهم خلف يضيعون المثل الدينية المتثلة في الكتاب والسنة •

ومن ينظر إلى قول قطري بن الفجاءة شاعر الخواجا :

أقول لها وقد طارت شعاط •• من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقا •• على الأجل الذي لك لم تطاعى

نصبرا في مجال الموت صبرا .
 ولا ثوب اليقا بثوب عـز .
 سبيل الموت غاية كل حـس .
 ومن لا يخطيط يـمـام ويهـم .
 وما للمرء خير في حـمـاة .
 فـانـيل الخلود بمـسـطـاع .
 فيطوى عن أخى الخنع اليراع .
 فداعيه لأهل الأرض داعـى .
 وتسلمه المنون إلى انقـطـاع .
 إذا ما عـد من مـقـطـ المـتـاع .

يرى زحام الأبطال وحومة النضال . ويرى حربا مفتعلة بـمين
 الشاعر وبين نفسه . وهذه الأبيات مع قلتها تعطينا صورة صحيحة
 لغروسة الخواج ونعاجهم . كما تعطينا مالدى شعرائهم من بؤس
 وصف المعارك والقتال .

أما شعر الحرب عند شعراء المديح والهجاء من الأمويين وعند
 معظم شعراء الشيعة والزيديين فلم تجسّن به نفس الشاعر . ولم تتحرك
 به مشاعره وأحاسيسه . وإنما جاء من مقتضيات المقام . وأنت إن قرأت
 هذا الشعر تراء ألفاظا مرصوعة وخيالات باهتة وصورا مبتذلة فائترة
 وتحس أن الشاعر قد تنازل عن أحاسيسه وعواطفه . واستند وحيه من
 غيره حتى جاء هذا الشعر مكذوبا زائفا . خاليا من الحياة فـسـهـا
 ومن ثم لم يلبث أن يتلاشى أثره وتخف حدته . ولا عجب فالشاعر
 لم يتأثربا بالأحداث ولم يحايشها ويتأملها . وظروف المناسبة لم تدع له
 فرصة يجيد فيها شعره . ومن ثم تلاحظ أن بلاح الفن الراقي قد
 خاصمت القصيدة .

والحق يقتضيني أن أقول أنه كان لبعض شعراء بني أمية والشيعة

والزيريين نظم في الممارك والمعامع وهو بعد ينبع من وجدان الشاعر
ومن أحاسيسه ، وصدر تعبيرة فيه عن عاطفه جياشه . فأنت ترى تدفق
الماطقة وصدقها في أشعار الشعراء الذين أخلصوا الود لبني أمية
وقد بلغوا جميعهم الغاية وكان أحسن هؤلاء الشعراء قولاً وأصدقهم
وصفاً من شهد حروب الدولة وكان بين المقاتلين .

ومن ينظر القصيدة الرائعة التي قالها الشاعر الأموي (كعب
الاشقرى الأزدي) يرى قصيدة حربية نادرة ، وهي أكبر قصيدة قالها
شاعر فارس في عصر بني أمية ، وقد خصها بوصف الممارك ومشاهد
البطولة ومواقف القتال ، ولصدق الماطقة في القصيدة خرجت أبياتها
متوالية لا يند فيها بيت عن جاره . ومع أن هذه القصيدة قد أنشدت
في حفل حاشد على الحجاج ابن يوسف إلا أنها - لما فيها من
صدق - نالت إعجاب الحجاج ، فطرب لها وطلب من كعب أن يتوسع
في الوصف ، ليس هذا فحسب بل إنه أرسله إلى عبد الملك بن مروان
ليستشده الرائعة ويجيزه .

ومن أبياتهم :

يا حفص إني عداني عنكم السفر . . . وقد أوت فاذي عيني السهر
علقت يا كعب بعد الشيب غانية . . . والشيب فيه عن الأهوا مزدجر
واشدت الحرب والبلوى وحل بنا . . . أمر تشمر في أمثاله الأزر
تلبسوا لقراع الحرب بزيهم . . . فأصبحوا من وراء الجمر قد عبروا

ساروا بالوية للمجد قد رفعت
قتلى هنالك لاقل ولا قسود
باتت كتابنا تردى سوسنة
عوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا
لاقوا كتاب لا يخلون ثغرهم
صفان بالقاع كالطود بين بينهما
يمشون في الجيش والأبدان إذ وردوا
وشيخنا حوله منا مللنا
ندوسهم بعنا جيج مجففة
في (معرك) تحسب القتلى بساحته
في كل يوم تلاقى الأزدي مغلطة
والآزدي قيس خيار القوم قد علموا
حي بأسيا فهم يخون مجدد
لولا المهلب للجيش الذي وردوا
وتحتهن ليوث في الوغى وقر
منا ومنهم دما سفكها هدر
حول المهلب حتى نور القصر
(بكا زبون) ناعزوا ولا ظفروا
فيهم على من يقاسي حوهم صعر
كالبرق يلمع حين يفتح البحر
مضى الزوامل تهدى صفهم زبر
حي من الأزدي فيها نابهم صبر
ميننا ثم من صم القنا كسر
أعجاز نخل زفته الريح يتقعر
يشيب في ساعة من هولها الشعر
إذا قروهم يوم الوغى خطروا
إن الكاظم في المكروه تهتدر
أنهار كربان بعد الله ما صدروا

كما أن قوة العاطفة صدقها قد تجلت فيها قاله الشاعر الفهمي
(الكميت ابن زيد الأسدي) * ولم يتقدم في هذه الناحية شاعر فهمي
سواء * ففي هاشميات قصيدتان رائعتان من أحسن شعره في الحبيب
وأصدقه * ويتجلى الصدق بوضوح حين يرثي الكميت أمة الفهمية
أو يصف بأسهم وصلابة غاراتهم في وجه الأمويين *

وليت شعري ماذا يضر مثل هذا الشعر لو كان في المناسبات
أليس كل ما نخلع عليه من احساسنا ، ونغيش عليه من خيالنا ، وننتخلله
بوعينا ، ونهث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع
للشعر ، لأنه حياة وموضوع للحياة (١) . ولكن كان الشعر رسالة
للحياة فما الحياة إلا مجموعة مناسبات ، ولا ضرر على هؤلاء الشعراء
أن يكتبوا في المناسبات وخاصة أن أحدا لم ينتدبهم ، وإنما هم الذين
صرفوا أنفسهم إلى هذا الشعر وأثروا أن يصوروا العصر وصراعاته
وأحداثه اليومية . أما غير هؤلاء الشعراء من الذين كان شعرهم
كذلك الذي يكتبه الصحفيون ، فهؤلاء قد رجعوا بالشعر إلى الجود
حين قصروه على المناسبات ، وجعلوه وقفا على الأحداث وبعض ما تنزى
به حفلات التأبين ، والشاعر آنذاك قد انصرف إلى تلك شعور الجماعة
فهو ير في سامعيه قبل أن يبري خاطره أيضا نفسه (٢) .

(١) مقدمة طبرسبيل للمقاد في خمسة دواوين : ٣٧٨ .
(٢) انظر ثورة الأدب د . هيكل : ٦٧٠٦٢٠٥٥٨ - القاهرة ١٩٤٨ .

" الخصائص العامة "

(لشعر الحرب في عصر بني أمية)

~~~~~

الخص هنا الخصائص العامة لشعر الحرب والفروسية في عصر  
بني أمية بما يلي :

أولا : الخصائص الموضوعية :

اكتسب شعر الحرب والفروسية في عصر بني أمية خصائص  
موضوعية كثيرة ألخصها فيما يلي :

( ١ ) تأثر شعر الحرب والفروسية في جميع صورته بالانحسار  
السياسي في عصر بني أمية ، فقد تسلطت السياسة على  
هذا الشعر ، ودفعتم الشعراء إلى أن ينوّنوا شعرا في  
الحرب يفضلون به حزمهم على الأحزاب الأخرى التي  
تعاديه وتناوئه وتذهب غير مذهبه في السياسة وقضية  
البيعة ، وقد التزم كل الشعراء بهذا المسلك فلم يحيدوا  
عنه إلا نادرا ، حتى أنه صار التزاما عند شعراء الخوارج  
فلم يستخدموا هذا الشعر لأغراض تخالف عقائدهم قط  
حتى ليكن القول أن لهم قصب السبق والريادة في هذا  
السييل . ولعله من الواضح أن هذا الالتزام الذي أخذ  
به شعراء الخوارج أنفسهم كان سببا في تشابه خصائصهم  
الشعرية ، وقد جرهم ذلك إلى الاختلاط في نمط



القصيدة إلى صاحبها ، ونسبة شعر الواحد منهم  
للآخر .

(٢) كذلك تأثر هذا الشعر بالنزعات القبلية والدعوات العصبية  
التي أحيها الأمويون ، فجاء مصبوغ بتلك النزعات  
والدعوات ، وما هو ظاهر بين في ذلك ما قاله  
الشعراء الهجاءون في حروب قيس وتغلب ، فكل شاعر  
لقبيلة يحاول جاهدا أن يذود عن قبيلته ، ويرى القبيلة  
المعادية بنسبهم من سهام الهجاء ، ويستشيط من ثم  
شاعر القبيلة المعادية غضبا .. ومن الملاحظ أن كل هذه  
الصور كان الشعراء في الأم الأغلب يتقيدون فيها بأن  
يردوا على الخصوم بقصائد من نفس الوزن والقافية التي  
صاغ فيها الشعراء الخصوم شعرهم .

(٣) كان للحياة السياسية والاجتماعية التي سادت عصر بني أمية  
أثر كبير في إثراء شعر الحروب والغزوية ، فحياة هذا  
العصر تختلف عن الحياة التي عرفها العرب قبل الإسلام  
فالمعصروما فيه من حروب وفتن وازدحام سياسات كل ذلك  
كان رافدا يفتن الشعر بالمعاني ، فتكثر من ثم فيه  
الأخيلة وتقل فيه السذاجة التي شاعت في العصر الجاهلي  
وقد ساعدت هذه الآفاق أصحاب القرائح في خدمة هذا  
الضرب من الشعر ، فنبغ الشعراء الفحول الذين وصفوا

المعارك وتحرك الجيوش والتحام السيوف واعتجار القنا  
ووصف رحلة الحرب نفسها منذ تحرك الجيوش مشيرة الغبار  
مجتازة الأنهار ، صاعدة القمم ، طافية الهول مقتحمة  
الحصون . وقد زاد بعضهم وصف ما تسفر عنه المعارك  
من هزيمة ونصر ، فيصف روعة الانتصار وذل الهزيمة  
والتقهقر ، ساكبا على كل ذلك تعابير العربية في أروع  
قوالها .

(٤) تمثل الروح الدينية في هذا الشعر تمثلا أغنى شعرهم  
بالمعاني الإسلامية كالثواب والعقاب والجنة والنار  
والاستشهاد في سبيل الله ، ولا بد أن يكون هؤلاء  
الشعراء قد تأثروا بمعاني القرآن الكريم ، كما تأثروا  
بلغته وأسلوبه ، فكثير من شعرهم كان تضمينا لبعض آيات  
القرآن الكريم .

(٥) ومن يتأمل هذا الشعر يلاحظ أنه اختلف في معانيه عن  
شعر العصر الجاهلي ، فكثرة الصراعات والفتن والحروب  
في عصر بني أمية كانت تحمل الشعراء على استنهاض  
المعاني الجديدة في شعر الحرب والفروسيات ، وقد كثرت  
في الشعر معاني البهالة في الفتك والسطوة والبأس  
وهذا من متوقع ، لسبب طبيعي ، هو أننا أصبحنا  
بإزاء موقف في الحياة يختلف عما كان عليه القآن قدما

قد أصبح للعرب دولة وأصبح لهم جيش منظم ، ووجدت  
على الساحة أحزاب سياسية حقيقية .. وكان طبيعيا  
من ثم أن يسير الشعراء في قصائد هم على أوضاع هذه  
الحياة الجديدة أو في ظلالها ، وهذا ليس تغييرا  
كليا ، ولكنه مجازاة للعصر وتطوره وما حدث فيه من  
انقلاب .

(٦) اقتران كثير من شعر الحرب والغروسة بشعر الهجاء  
والمدح والفخر ، وقد صيغت هذه الفنون بصيغة القصيدة  
والاتجاهات المذهبية والسياسية ، فاختلقت بذلك عن  
النون التقليدي المألوف .

(٧) طغى في هذا الشعر سلطان التاريخ على سلطان الفن  
ويمكن القول إن كل قصيدة من قصائد هؤلاء الشعراء  
مربوطة بحادث يستلزم التاريخ ويتصل به من قريب أو بعيد  
وقد تحرر شعراء العصر العباسي من هذا ، فهم وإن  
كان للحوادث التاريخية سلطان عليهم ، إلا أنهم تحرروا  
من رقة التقليد التاريخي ، وأصبحوا في طور الاستقلال  
الذي يصلهم بالتاريخ في بواعثه وظاياته .

(٨) اقترن كثير من شعر الحرب والغروسة بشعر المزمون شأه  
في ذلك شأن الشعر الجاهلي ، فقد كان الجاهليون  
يذكرون المرأة حين ينظمون شعرا في الحماسة والفجاعة

هذه هي الخصائص الموضوعية العامة لشعر الحروب والفروسية في  
العصر الأموي ، والتي ينفرد بها عن غيره ، ويمتاز بها دون سواء  
من الشعر السابق عليه واللاحق له في مختلف البقاع .

#### ثانيا : الخصائص الأسلوبية :

أما فيما يتعلق بالخصائص الأسلوبية فهذه تلخيصها  
فيما يلي :

( ١ ) الجزالة والقوة ظاهرتان ملازمتان لشعر الحروب  
والفروسية ، والشعراء بهذا يشبهون شعراء الحماسة  
في العصر الجاهلي .. يمكننا القول أن شعراء بني أمية  
هذا فيما عدا الشعراء الفحول قد تحرروا من رقة  
التقليد ، وقد ساقتهم أصالتهم إلى الانفلات من معظم  
القوانين التي تتصل بالقصيدة الجاهلية ، ولم يكن هم  
الشعراء إبراز براعتهم اللغوية ، بل كان كل همهم أن ينقلوا  
ما يشعرون به ، وأن يوصلوا آراءهم إلى جماهيرهم ، ولهذا  
خرج شعرهم بعيدا عن الفرابية والمجعة ، وجاء صريح  
اللفظ ينكشف المعاني .

( ٢ ) فخامة هذا الشعر وقوة جرسه ، وقد فوض الموضوع  
هذا على الشعراء فضا ، فخرجت أفعارهم تتناسب  
وقمعة السلاح وصراخ الأبطال واحتدام المعارك .

سبيل هذا لجأ الشعراء إلى استخدام القوافي الطنانة ولو أن هؤلاء الشعراء قد بذلوا جهداً ، ونظموا قصائد طويلة في الحرب لأعطونا ملاحم كبرى .

( ٣ ) شاعت في هذا الشعر ألفاظ حربية جديدة ، وألفاظ وتعبيرات دينية ، كما ورد ذكر لبعض الآيات القرآنية ، وقد وضعنا ذلك في ذكر خصائص شعر كل حزب على حدة .

( ٤ ) ومع أن شعر الحبيب والغروسية الخالص قد تمثل في مقطوعات قصيدة ، إلا أن الأمويين كانوا أطول نفساً في قصائد هم من الجاهليين ، وكان للشعراء الفحول دور كبير في إطالة هذه الأنفاس .. ومن يتأمل القصائد الطويلة التي يكون ظاهرها أنها متشعبة الموضوع ، يلاحظ أنها تتدور كلها حول معنى الحسانه ، كما يلاحظ أنها - مع تنوع أغراضها - تتبع من معين واحد ، وتدور ضمنها حول غرض واحد .

( ٥ ) ولم يخل هذا الشعر من ورود الحكمة ومن الإكثار من التشبيه ، وترديد ألوان البديع ، ومن الإبداع في التصوير والإغراب في الخيال .

( خاتمة ..... ٢ )

XXXXXXXXXXXX

(١) خلاصة الدراسة :

XXXXXXXXXXXX

لقد حاولت في الدراسة السابقة أن أصور عصر الحبيب  
والفروسية في عصر بني أمية . فبدأت بدراسة ( العصر الأموي بين  
الحبيب والسياسة ) . وتمتعت ما كان في التصور من فتن وحروب  
وكيف استطاعت تلك الأحداث المتعاقبة أن تخضع العصر لسلطانها  
وأن يكون صورة دقيقة لها في جميع صورها وأشكالها .

وتقدمت بعد ذلك أتحدث عن الأحزاب السياسية . ومراحل  
نشاطها السياسي والمقائدي . ونتيجة حركاتها المختلفة  
وما أصاب بعضها من انقسام إلى فرق وطلل لكل منها نشاطها وقيدها  
الخاصة بها . وقد حرصت في دراسة هذه الأحزاب على ألا تكون  
مجرد تاريخ للحزب ولمراحل تطوره . بل أن ترسم لهذه الأحزاب  
صورة دقيقة من خلال عصرهم وعمرانهم .

أما الفصل الثاني من هذا الباب فقد أدرته على ثلاثة محاور  
هيئت في أولها ( عصر الحبيب والفروسية قبل العصر الأموي ) . وذكرته  
لما كان لعصر الجاهلي من دور في عصر الحبيب والفروسية  
وأنهم كانوا يعتقدون الشعر عند البيازات وفي الغارات . حتى إذا  
جاء الرسول صلى الله عليه وسلم . نجده يدعو أصحابه إلى حبيب

الكفار المعاندين • فكانت من ثم مفازيه تخالف في غاياتها وأهدافها تلك الحروب التي شغلت الجاهليين •

وطى شاكلة ماضور شعر الحبيب والفروسيه حياة القوم فـسى الجاهليه وفي صدر الإسلام • نجد • بعد نفسه للمصر الأمـى ولا سيما أن هذا العصر كان عصر أحزاب سياسية حقيقية • وقد اصطدمت تلك الأحزاب بعضها ببعض اصطداما ماعرف التاريخ المعين شـله لاني المصر الجاهلى ولاني المصر المباسى • وطى نحو مانهضت هذه الحياة الجديدة بالشعر وطورته نجدها تنهض بشعر الحبيب والفروسيه •

ونذهب بعد بيان ذلك لأطبق في الباب الثاني ماوصلت إليه من أفكار وآراء عامة • فاخترت الأحزاب الأربعة المتصارعة ( الأمويون والخوارج • والشيعه والزيديين ) • الذين شغل صراعهم الناس في عصرهم والمصور التالية • ودرست شعرهم في الحبيب والفروسيه دراسة فنية حيناً • وضوطة بالتاريخ حيناً آخر • وقد لاحظت أن موضوعات هذا الشعر قد توزعت على نواحي مختلفة • فهو عند بني أمية يصدر عن شعراء الديح والهجاء • عن شعراء المصيبات القبلية • كما وضحت أن هذا الفن كان منتوجاً طبيعياً للحروب الداخلية التي كانت بين حكام بني أمية وبين الأحزاب الأخرى الناشئة كما كان منتوجاً طبيعياً أيضاً للحروب الخارجية التي ثقلت في الفتوحات الخارجية •

وحاولت في ختام هذا الباب أن أطبق ما وصلت إليه من آراء على طائفة من الشعراء ، فاخترت شاعرين هما ( النابغة الشيباني ) و ( القطامي ) ، وتحدثت عن تلويحهم في شعر الحرب والفروسيات وكيف استمدوه من المصيبتات القبلية .

أما الباب الثالث فقد درست فيه شعر الحبيب والفروسيات في أدب الأحزاب المعارضة لبني أمية ، وبدأت هذا الباب بالحديث عن شعر الخوارج ، حيث في هذه الدراسة أن أكثر شعراء الخوارج كانوا من المحاربين والفرسان الذين يخوضون المعارك بسيفهم قبل ألسنتهم ، كما وضحت أن الشعر عندهم - بشكل عام - كان إما تسجيلاً لأعمال حربية أو رثاءً للقتلى ، أو للتشديد والتوعيد .... وإذا أضفنا إلى هذه الموضوعات ما جاء لهم من شعر تأمل في الموت والحياة ، وفي الشراية والخروج ، لما بقي شيء من شعرهم إلا الزور البسير الذي يصعب وصفه بأنه من موضوع معين من الموضوعات الشعرية .

ولعل أبرز ما يميز شعراء الخوارج عن غيرهم من مخالفي بني أمية وسابقيهم وفرة شعرهم الحربي والفروسي ، ثم إن هذا الشعر لم يكن يلبس عندهم ثياب الفخر أو الندم ، وإنما كان يتنفس من حاجة تنظفهم فهم يعبرون به عما يحتمل في نفوسهم وما يدور في خلدهم ، ومن ثم فلم يحرصوا على روايته أو اثباته ، الأمر الذي أدى إلى ضياع معظم ما لهم من شعر ، وما بقي من شعرهم لا يتناسب قط وذوق غيرهم ، فهم دعاة حرب وطلاب موت .. وعلى كل حال فما نوفره من أمثلة ينسأ



من شعرهم يفرح بوضوح إلى أنهم كانوا بمنزلة عالية في هذا الشعر بين الأحزاب السياسية الأخرى . وبحثت الدراسة عن الخواص بالحدث من شاعر الخواص الصيفية ( عمران بن حطان ) . واختارته بالسذات لتقرر ما دار حوله من كلام كثير حول قعوده عن القتال . وضعفه من ثم من تصور الحبيب والفروسي . وبحثت أن الأرجح أن قعوده إنما جاء في سن متأخرة . لا يستطيع فيها مواصلة الحروب والقتال .

أما الفصلان الأخيران ( الثاني . والثالث ) فقد تحدثت فيها عن شعر الحرب والفروسي ضد كل من الشيعة والزيويين . وبحثت أن كلا من الحزبين قد عزز مذهبه وطلبه بتلك الأفعار العنيفة التي وصف فيها معراؤهم معاركهم وحروبهم مع شيوخهم وشمالهم . وبحثت أن هذا الشعر قد هم كان قليلا . وأنه يقل في فروسيته عن شعر الخواص .

وانحدرت إلى شاعر الشيعة ( الكهت بن زيد الأسدي ) وشاعر الزيويين ( حميد الله بن قيس الرقيات ) فبحثت كيف كان شعر كل منهما ضد الحروب حزين مع الأمويين . كما كان طائفة لنفسهم الحزينة . وشكينا لجراحاتهم المعينة .

وذهبت بحث بيان ذلك لأجيب عن سؤال كان دائما يطرح نفسه على كثير من الدارسين كما فسر نفسه على وأنا أكتب هذه الدراسة وهو : ألم يكن هذا الشعر يتعلق بالواقف والناسبات ؟ الأمر الذي يتضمن الطعن فيه بأنه شعر صفي وليس شعرا قيل استجابة

لدوافع وانفعالات جاءت بها نفوس ناظمية . وقد بينت أن المناخ العام في العصر الأموي كان مجالا رحبا يتسع لقوة العاطفة وحدتها . وليس من الضرر بعد أن يتصل الشعر بالأحداث والصراعات السياسية . وإنما العيب أن يكون الشعر غير ملازم لانفعال الشاعر وأن يأتي شعره فلا ندرى أهو له أم لغيره .

ولمست القول بأننا إذا استبعدنا بعض الأبعاد التي قبلت على إثرد واقع سياسية طارئة . وجدنا كل شعر الحبيب والفروسيمة - وخاصة عند شعراء الخوارج - لا يبدو فيه أثر إطلاقا للناسبة فالناسبة آنذاك جاءت متوافقة مع دوافع الشاعر . وحظ الجسدان والم عاطفة كان أقوى بكثير من حظ الناسبة .. وكل ما كان للناسبة أنها أدنت للشاعر فحسب أن يخفى بتجربته الشعرية . تلك التجربة التي لا يكون عينا فيها أن تكون نضالا مع الحزب ومعارضة معه . وتسجيلا لبطولاته وأجاده .

وختمت هذا الطرح ببيان الخصائص العامة التي يمكن أن يتصف بها شعر الحبيب والفروسيمة في عصر بني أمية . وذكرت أنها ما يتعلق بالموضوعات وما يتعلق بالأسلوب . وذكرت أن هذه الناحية قد اهتمت فيها الأحزاب جميعها .

(٢) تعليق وتعقيب :

~~~~~

تلك هي أهم الناحي التي وقفنا عندها في الدراسة . ونسى

ولما كان من ضروريات المعيش أن يقتتل الناس ، فإن من لوازم ذلك أن يتصدى الشعراء ليكونوا بمثابة صدى يصور تلك الخطوب ويجعلونها موضوعاً للسلام يسجلون فيها أطوار الحرب مثلاً ، ويصفون فيها صولات أبطالهم وتقهر أعادهم ، وقد يمزجون تلك الأشعار بالحكمة والوعظة ، كما أنهم قد يمزجون أهوال الحرب ومآثرها بأفانين الحب وخفقات القلوب والوجدان .

ومن أشهر الملاحم :

(١) (الإلياذة) وهي لشاعر اليونان "هوميروس" وموضوعها هو الحب التي نشبت بين اليونان ومملكة "طروادة" في آسيا الصغرى فيما بين القرنين العاشر والثاني عشر ق. م.

(٢) (الأديسا) وهي لهوميروس أيضا ، وهي ملحقة
الثانية التي أدارها أيضا على حرب طروادة بعد انتهائها بعشر سنوات

ومنتج عن هذه الحبيب من تناقض الأمراء .

(٣) (الإنبياء) وهي لشاعر الرومان (فرجيل) ، وهي ملحمة تشيد بالوطنية الرومانية ، وهي وإن كانت صبغة بصغة دينية إلا أنه تأثر فيها إلى حد بعيد بالملاحم اليونانية ، وهي (الكوميديا الإلهية) لدانتة تعدان أساسا لتطور الملحمة ، وتطبع بالطابع الدينى .

وهذه من أشهر الملاحم لأنها - إلى جانب وصفها فى مقام الأبيات من الشعر لأفدح الخطوب وأروع الممارك والأحداث - تضم معارف جمة وفلسفة أمة فى شئون متعددة فى الفلك وفى فن الحبيب وفى شئون السياسة وإدارة الحكومة .. وهذه الملاحم وإن اختلفت بالأساطير والخرافات إلا أنها لها أصول وحقائق تاريخية .

ولما كان حب الحبيب غريزة فى الأمم الغربية ، نجد هذا من ينهجون النهج الذى نهجه الإغريق ، فينظمون ملاحم كبرى ، يتفننون فيها بغروسة محاربتهم ، ثم لم تلبث هذه الملاحم أن كانت موضعاً لكثير من المسرحيات التى ظهرت تشل البطولة والعظمة الحربية .

على أننا إذا تجاورنا الغربيين إلى الشرقيين ، وجدناهم يحتفون بالملاحم فكان للهنود مثلاً ملحمة (المهابهاراته) للشاعر الهندى (فياسه) ، وهى تقع فى آلاف الأبيات ، وموضوعها هو الحبيب بين شعوب الهند ، وقد ترجمت إلى الفارسية وترجمها وديهم

اليستاني إلى العربية • وكان للفريز كذلك ملحمة (الشاهنامة)
للشاعر الفارسي (الفردوس) • وهي تحكى تاريخ الأكاسرة وطولات
الفارسيين في الحروب • وهي تقع في آلاف الأبيات • وقد عرفها
العرب على أنها مثل الكتاب المقدس للفريز • وقد ترجمت إلى العربية .

• الملحمة قصة شعرية بطولية تحكى أفعالا عجيبة وتصور حوادث
خارقة للعادة • وغرض الحكاية هو الغالب عليها وهذا هو ما يميزها
عن المسرحية والقصة • وهو نفسه ما يخرج الشعر القصصى عن أن يسمى
ملحمة •

وقد ازدهرت الملحمة في الأمم التي تتميز بالفطرية • حيث
يشيع الخيال وتكثر الأساطير والخوايق • ويخلط الناس بين الحقيقة
والخيال فيزاجون بين الحكاية والتاريخ • وهذا شئ طبيعي عندهم
فعقيدتهم السهلة جعلتهم يجسمون الطبيعة في صور ألوهية مقدسة
ومعدد من الآلهة فيما لتمدد القوى الطبيعية المختلفة • ولهذا
انتهى عهد الملاحم بانتهاء عهد الفطرة للأمم • وإن بقى تأثيرها
فيما تستمد المسرحيات والقصص من أساطير •

ويبدو لى أن شعراء العصر الجاهلى - إذا لم نفرق بين
الملحمة وبين الشعر القصصى - لديهم ملاحم لا تنتهى • فلديهم
شعر طويل في وصف المعارك وفي سرد أخبارها • وذكر ملاحمها
أما إذا أخرجنا الشعر القصصى من نطاق الملحمة وجعلنا هذا شيئا
وذاك شيئا آخر • فإن الشعراء الجاهليين - وخاصة أنهم لم يعدوا

إلى زيادة بطولاتهم — لم يهدوا إلى نظم ملاحم تضم تاريخ الجاهلية وتخلد حروبها وشازعاتها • على حين نجد تاريخهم مطوياً بالأحداث والمعاصم والحروب •

وإذا كان ما قيل (من أن ملحمة الإلياذة والأوديسا) ليستا من وضع شاعر يمينه • كما أنها ليستا من وضع هوميروس • وإنما نظمها شعراء شعبيين عديدين على فترات وأجزاء • وكل ما كان لهوميروس أنه جمع كل ذلك ورتبه وأضاف إليه إضافات حتى نسبت كل من الملحيتين له .. إذا كان هذا كذلك فإن في معظم ما نظم الشعراء الجاهليون لما بعد ملحمة • لما كان بين الشعراء بعامة من تماثل وعلى هذا الأساس يجب أن تعد قصائد المعلقات ملحمة عظيمة • لأنها روت تاريخ الجاهليين • وصورت معاركهم • وسجلت بدقة كل ما أسفرت عنه تلك الاحتكاكات السياسية بين القبائل والعشائر •

... وعلى هذا الأساس فإننا نعد تلك القصائد التي قيلت في الحبيب والفروسية في عصر بني أمية ملحمة صغرى • ففيها وصف لسير الجيوش وأعدادها • ووصف للالتحام وما يعقبه من اقبال وأدبار وكثر وفر وما يتلو ذلك كله من فخر بالفوز • واحتذار عن الهزيمة •

ولو أننا تعمقنا النظر لوجدنا بين يدي هذا العصر ملحمة عظيمة تتمثل في قصائد شعراء الخوارج لما كان بين شعرائهم من تقارب وتشابه في الخواطر • ثم إن صورهم الفنية تبدو متماثلة ككل التماثل • فعند قطري بن الفجاءة معان جاء بحثلها عيسى بن فاتك

ولن في وحدة ظروفهم ومعيشتهم لما طبعهم جميعا بطابع واحد
فقد حاسوا جميعا الخروب وامتشفوا السيوف ، وهم أنفسهم كانوا
موارس في الميدان ، وكثيرا ما قالوا الأرجاز في ميدان الحرب ، على
أن البصير بنقد الشعر يجد شيئا بينهم حتى في المنزح .. الأمر
الذي يساعد على الأخذ بهذه النظرية .



(أهم المراجع والمصادر)
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الأدب الأموي د . ابراهيم أبو الخشب . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (٣) أدب الخوارج د . سهير القلماوي . لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- (٤) أدب السياسة في العصر الأموي د . أحمد الحوقلي . دار نهضة مصر للطباعة الخامسة .
- (٥) أعيان الشيعة للعالملي :
الجزء الأول مطبعة ابن زيدون دمشق ١٣٥٤ هـ .
- (٦) البداية والنهاية لابن كثير :
الجزء الثامن القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- (٧) البيان والتبيين للجاحظ :
الجزء الأول والجزء الثاني نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- (٨) تاريخ آداب اللغة الموية . جورج زيدان
الجزء الأول الهلال ١٩٣٦ م .
- (٩) تاريخ الأدب العربي د . شوقي ضيف :
العصر الإسلامي . دار المعارف للطباعة الثامنة .
- (١٠) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري :
الجزء الرابع . مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩ م .

- الجزء الخامس • المطبعة الحسينية بالقاهرة • دار المعارف
الطبعة الرابعة •
الجزء السادس • دار المعارف الطبعة السادسة •
الجزء السابع • تحقيق أبو الفضل • دار المعارف
الطبعة الثانية •
(١١) تاريخ الدولة العربية د • عبدالعزيز سالم • مؤسسة شباب
الجامعة للطباعة والنشر •
(١٢) تاريخ الشعر السياسي أحمد الشايب • النهضة المصرية
سنة ١٩٦٦ م •
(١٣) تاريخ الشعر العربي د • الكفراوي • دار نهضة مصر •
(١٤) تاريخ اليقطين • طبعة بيروت ١٩٦٠ م •
(١٥) التجديد في الأدب المصري الحديث • عبد الوهاب حموده •
دار الفكر العربي — الطبعة الأولى •
(١٦) ثورة الأدب د • هيكل • القاهرة ١٩٤٨ •
(١٧) حديث الأربعاء د • طه حسين :
الجزء الأول • دار المعارف ط ١٢ •
(١٨) الخطابة في صدر الإسلام د • محمد طاهر دويش :
الجزء الثاني • دار المعارف ١٩٦٢ م •
(١٩) خسة دواوين للمقاد • الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٣ م •
(٢٠) الخواج في العصر الأموي • نشأتهم • تاريخهم • عقائدهم
أديهم د • نايف محمود معروف • دار الطليعة — بيروت
الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م •

- (٢١) الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء
• د. الطيب النجار • الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- (٢٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ببيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٢٣) ديوان عنتره • طبعة ببيروت •
- (٢٤) ديوان الفهرزدقي :
- الجزء الأول والثاني • دار صادر ببيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- (٢٥) ديوان نايغة بنى شيان • دار الكتب المصرية ١٩٣٢ م .
- (٢٦) شرح ديوان الأخطل • دار الثقافة ببيروت •
- (٢٧) شرح ديوان جرير • دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى
سنة ١٩٨٢ م .
- (٢٨) شعر البصرة في العصر الأموي د • عون الشريف قاسم
دار الثقافة ببيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- (٢٩) شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي
إلى عهد سيف الدولة د • زكي المحاسني • دار المعارف
بمصر الطبعة الثانية •
- (٣٠) شعر الخواج د • احسان عباس • دار الثقافة ببيروت
الطبعة الثالثة ١٩٧٤ م .
- (٣١) شعر الكميت بن زيد الأسدي • جمع وتقديم د • داود سليم :
- الجزء الأول • مطبعة النعمان بغداد ١٩٦٩ م .
- (٣٢) الشعر وطوايعه الشعبية على مر العصور د • شوقي ضيف
دار المعارف ١٩٧٧ م .
- (٣٣) ضحى الإسلام • أحمد أمين :
- الجزء الثاني • نهضة مصر الطبعة الثامنة ١٩٧٤ م .

- (٤٥) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي د . حسين عطوان
دار المعارف ١٩٧٤ م .
- (٤٦) الملل والنحل للشهرستاني . مطبعة مخيم ١٩٥٦ م .
- (٤٧) النقد الأدبي ، أحمد أمين :
- الجزء الأول ، النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة .
- (٤٨) هاشميات الكميت . ط شركة التدن ١٩٠٢ م .

(فهرس الموضوعات)
~~~~~

الصفحة

|         |                                                            |
|---------|------------------------------------------------------------|
| ١       | ..... المقدمة                                              |
| ٤٦ — ١  | <u>الباب الأول : العصر الأموي بين الحرب والسياسة</u> ..... |
| ١٦ — ١  | <u>الفصل الأول : الأحزاب السياسية في العصر الأموي</u>      |
| ١       | ..... ( ١ ) الحزب الأموي                                   |
| ٤       | ..... طابع سياستهم                                         |
| ٦       | ..... ( ٢ ) حزب الخوارج                                    |
| ٧       | ..... نظريتهم                                              |
| ٨       | ..... فريق الخوارج                                         |
| ٩       | ..... علاقة الخوارج ببني أمية                              |
| ١٠      | ..... ( ٣ ) حزب الشيعة                                     |
| ١٣      | ..... ( ٤ ) الزبيريون                                      |
|         | <u>الفصل الثاني : تطور شعر الحرب والغروسة في العصر</u>     |
| ٤٦ — ١٧ | <u>الأموي : .....</u>                                      |
| ١٧      | ( ١ ) شعر الحرب والغروسة قبل العصر الأموي                  |
|         | ( ٢ ) شعر الحرب والغروسة والحياة الجديدة                   |
| ٢٣      | ..... في العصر الأموي                                      |
| ٣٣      | ( ٣ ) نهضة شعر الحرب والغروسة .....                        |
| ٣٥      | ( أ ) تعدد الأحزاب السياسية .....                          |
| ٣٧      | ( ب ) تقدير الحكام للشعر والشعراء .....                    |
| ٤١      | ( ج ) ازدهار الثقافة الدينية والأدبية                      |

الصفحة

|          |                                                    |
|----------|----------------------------------------------------|
| ٨٠ - ٤٧  | الباب الثاني : شعر الحرب والغروسية في أدب بني أمية |
| ٤٧       | تمهيد : .....                                      |
|          | الفصل الأول : شعر الحرب والغروسية عند              |
| ٦٥ - ٥٠  | شعراء المدح والهجاء .....                          |
|          | خصائص شعر الحرب والغروسية                          |
| ٦٤       | عند شعراء المدح والهجاء                            |
|          | الفصل الثاني : شعر الحرب الداخلي                   |
| ٧٥ - ٦٦  | والفتوحات الخارجية .....                           |
| ٦٦       | (١) الحروب الداخلية ...                            |
| ٧٠       | (٢) الحروب الخارجية ...                            |
|          | الفصل الثالث : الغروسية في شعر العصبية             |
| ٨٠ - ٧٥  | القبيلية .....                                     |
|          | من شعراء الغروسية القبلية :                        |
| ٧٦       | (١) النابغة الشيباني .....                         |
| ٧٨       | (٢) الشاعر القطامي .....                           |
|          | الباب الثالث : شعر الحرب والغروسية في أدب الأحزاب  |
| ١٢٤ - ٨١ | المعارضة لبني أمية .....                           |
|          | الفصل الأول : شعر الحرب والغروسية عند              |
| ٩٨ - ٨١  | الخواصج .....                                      |
| ٩٠       | خصائص شعر الحرب عند الخواصج                        |

الصفحة

من شعراء الخوارج :

٩٤ عمران بن حطان .....

الفصل الثاني : شعر الحرب والفروسية قسبي

١٠٦ - ٩٩ أدب الشيعة : .....

من شعراء الشيعة :

١٠٤ الكميت بن زيد الأسدي ...

الفصل الثالث : شعر الحرب والفروسية في ظل

١٢٤ - ١٠٧ الزبيريين .....

خصائص شعر الحرب والفروسية

١١٦ عند الزبيريين .....

من شعراء الزبيريين :

١١٨ عبيد الله بن قيس الرقيات ..

ملحق يشمل :

١٢٥ \* شعر الحرب والفروسية والمناسبات والمواقف

\* الخصائص العامة لشعر الحرب والفروسية

١٣٣ في عصر بني أمية .....

١٣٩ الخاتمة : .....

١٤٩ فهرس المراجع والمصادر : .....

١٥٤ فهرس الموضوعات : .....

\* مع تحيات مكتب رحاب \*

\* فتحي عبد الكريم \*

.....